الطبيعة الإنسانية
وضوابطها
في ضوء القرآن الكريم

"جانبا العقل والأخلاق أنموذجا"

الدكتور

محمود سعد عبد الحميد شمس

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الشريعة والأنظمة – جامعة الطائف

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

ملخص البحث

يتناول البحث بيان الطبيعة الإنسانية وما جبلت عليه من فجور ومن تقوى، وكيف على الإنسان تزكية نفسه من الفجور والهوى الذي يأخذها إلى طريق الانحراف من خلال ضوابط وضعها القرآن الكريم في الجانبين العقلي والأخلاقي مركزا في البداية على بيان مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم، ثم التركيز على أهم الضوابط التي تعين الإنسان على تزكية نفسه في هذين الجانبين وقد تنوعت تلك الضوابط في الجانبين، ففي الجانب العقلي كانت الضوابط تتنوع إلى: ضوابط سلوكية، وضوابط علمية.

وفي الجانب الأخلاقي تنوعت الضوابط إلى: ضوابط موضوعية خارجية، ضوابط ذاتية داخلية

ثم بينت ماذا لو يلتزم الإنسان بتلك الضوابط وما يترتب على ذلك من أثر، فبينت:مظاهر الانحراف عن منهج القرآن الكريم ومن هذه المظاهر: -الغلو.- التنطع. - التفريط.

وبينت ما يترتب على ذلك من فهم غير صحيح لأمور الدين فيتحول إلى تشدد دون داعي أو تفريط بالتقصير وضياع الثوابت والتفريط فيها. والله أعلم.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء والمرسلين-سيدنا محمد-وعلي آله وصحبه أجمعين. وبعد

فقد خلق اللهﷻ الإنسان وفطره على توحيده وأودع فيه نفسا وألهمها فجورها وتقواها، فطبيعة الإنسان قابلة للسير في طريق الخير إذا اتبعته، كما أنها قابلة للسير في طريق الشر إذا رغبت في اتباعه، وترك له حرية الاختيار بين أن يكون لله ﷻمطيعا فيكون شاكرا لربه حتى يرضى اللهﷻ عنه، وإما أن يكون كافرا جاحدا لربه، فجزاؤه جهنم وبئس المصير.

ومما لاشك فيه أن من أكثر الحركاتالفكرية نضجا وأعظمها نفعا؛ هي التي تستهدف الربط بين نصوص الوحي المقدس، ومجريات الحياة البشرية في الحاضر والمستقبل، وكان لزاما على المتصدي لها أن يمتلك من الأسباب ما يعينه على ذلك، فقمين به امتلاك المعارف الشرعية المعينة له على التأصيل، وكذا من الفطنة ما يعينه على التحليل الدقيق، ناهيك عن الدربة الممكنة له من تنزيل الأحكام على أرض الواقع.

ومن هنا فإن الحديث عن ضوابط الطبيعة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم باعتبارها أحدى القضايا المهمة التي تحتاج لمعالجة فكرية دقيقة وعميقة، كما تحتاج إلى فقهمتأن، وبعدنظر في التنزيل على الواقع، وتأمل ثاقب في الدليل، وذلك في إطار ضوابط شرعية محكمة يصح معها استنباط الحكم من دليله ،ويظهر عن كثب مقصد الشارع الحكيم من تنزيله.

وقد تكون الإشكالية الحقيقية في المجال المعرفي الإسلامي بشكل خاص هي في الخلط بين القيم والمبادئ -كأطر ومرجعيات وضوابط ومعايير -متأتية من معرفة الوحي المعصومة الخالدة المجردة عن حدود الزمان والمكان؛ وبين برامج الخطط والمناهج -كجهود بشرية-في محاولة تنزيل القيم على الواقع، ووزنها بميزان الوسطية الإسلامية، ناهيك عن الحاجة إلى فهم النفسيات وإدراك الأعراف والعادات، فضلا عن مراعاة الموازنات في تحقيق المصالح ودرء المفاسد للخلق فهذا ولا شك كله يقع في إطار تحقيق مقصود الشريعة الغراء.

هذا وقد تباينت وجهات النظر الفلسفية الوضعية حول ماهية الإنسان وطبيعته ما بين إطراء مذموم أو تشبيه حقير، لكنّ القرآن الكريم قد نظر إلى هذه الطبيعة الإنسانية نظرة مستقلة متوازنة تسمو بالروح والجسد معا وفق ضوابط الشرع الحكيم.

من هنا تأتي أهمية هذا البحث فيمحاولة جادة للكشف عن ضوابط الطبيعة الإنسانية، وخاصة في جانبي العقل والأخلاق في ضوء القرآن الكريم.

أهداف البحث:

أولا:التعرف على ضوابط الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم.

ثانيا: التأكيد على تمكين الإنسان من مواجهة التحديات المعاصرة باتباع منهج القرآن الكريم.

ثالثا: استجلاء حقيقة هداية القرآن الكريم للإنسان والرقي به للوصول إلى السمو الحضاري.

رابعا: بيان مظاهر حماية الإنسان من التردي في مهاوي الانحـــراف الفكري والسلوكي.

هذا وقد قسمت البحث إلي:مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة.

فالمقدمة: وفيها أهمية البحث وأهدافه وخطة الدراسة

والتمهيد: التعريف بمصطلحات البحث. وفيه مطلبان:

والمطلب الأول:مفهـــوم الضَّـــوابط والمعـــايير والفـــرق بينهمـــا وتحته فرعان:

الفرع الأول: تعريف الضوابط لغةً واصطلاحا.

الفرع الثاني:تعريف الضوابط اصطلاحا.

والمطلب الثاني:مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم.

المبحـــث الأول: ضـــوابط الطبيعـــة الإنســـانية في الجانب العقلي. وتحته فروع:

المطلب الأول: ضوابط سلوكية.

المطلب الثاني: ضوابط علمية.

المبحـــث الثـــاني:ضـــوابط الطبيعـــة الإنســـانية في الجانب الأخلاقي. وتحته مطالب:

المطلب الأول: ضوابط موضوعية خارجية

المطلب الثاني: ضوابط ذاتية داخلية

المطلب الثالث: مظاهر الانحراف عن منهج القرآن الكريم.

وتحته فروع :

١ -الغلو.

٢-التطرف.

٣١-التفريط.

وأما الخاتمة:

وفيها نتائج البحث ومقترحاته.

المراجع.

الفهارس.

منهجي في البحث: طبيعة هذا البحث تقتضي أن نسلك فيه المنهج الوصفي القائم على استقراء وتحليل "النص القرآني" لبيان ضبط الطبيعة الإنسانية وفق ضوابط القرآن الكريم.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان مصطلحات البحث

وتحته فرعان:

الفرع الأول: تعريف الضوابط لغةً:

(ضبط) الضاد والباء والطاء، أصل صحيح يدل على: ضبط الشيء ضبطا، والأضبط الذي يعمل بيديه جميعا[١].

فالضبط في اللغة: لزوم الشيء وحبسه، نقول: ضبط عليه وضبطه يضبط ضبطا وضباطة، وقال الليث: الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء،وضبط الشيء حفظه بالحزم حفظاً بليغاً، وأحكمه وأتقنه، يقال: رجل ضابط؛أي: قوى شديد[٢].

الفرع الثاني: تعريف الضوابط اصطلاحاً:

الضابط اصطلاحاً: أمر كلى ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه[٣].

---

(١)- مقاييس اللغة، ابن فارس٣/٣٨٦، مادة: ضبط.

(٢)- انظر:لسان العرب، ابن منظور ٧/ ٣٤٠، المعجم الوسيط،د/إبراهيم مدكور، وآخرون ١/٢٨٧ مادة "ضبط"

(٣)-انظر: غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، للحموي ٢ / ٥ ، حاشية المجلس على جمع الجوامع للتفتازانى ١/٢١.

ويلاحظ على هذا التعريف أنه لا يختص بعلم معين بل هو عام في كل علم يمكن أن تصاغ فيه ضوابط. وهذا هو المطلوب.

ويرى التهانوى: أن ضابط الشيء: هو صفته وشروطه.

وضابط المسألة العلمية: هو ما يعرف به ما تحكم به المسائل في الباب الواحد[1]، وهو خلاف القاعدة في المسألة العلمية، فإنها ترجع إليها المسألة في أبواب مختلفة[2].

وعلى هذا فالمراد بالضابط هنا هو: الوصف أو الشروط التي يعرف بها الحكم، وهذا هو مرادنا في البحث؛ إذ المقصود-هو معرفة الأوصاف أو الشروط التي ينبغي توافرها في الشيء

---

(1)-كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٣ / ١٣.

(2)-القواعد الفقهية د / يعقوب الباحسين ص ٥٨ ،ومنهج استنباط أحكام النوازل،د. مسفر القحطانى ص٤٤٨. والمنهج في استنباط النوازل، د. وائل الهويرينى ص ٤٤٨

المطلب الثاني: مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم.

لقد خلق الله ﷻ الإنسان في أحسن تقويم وألهم نفسه الفجور والتقوى، وجعل الفلاح لمن زكى نفسه والخيبة لمن دسى نفسه؛ أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي، وترك طاعة الله ﷻ[١].

فقد أخفى الإنسان نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب والذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها[٢].

وقد بين القرآن الكريم أن الإنسان بإمكانه تزكية نفسه من الفجور باتباع منهج الله ﷻ، فيكون من المفلحين، ولذا فقد أقسم الله في سورة الشمس بمجموعة من الكونيات وجعل جواب القسم قوله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[٣]أي: قد فاز من زكى نفسهوأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب وظفر بكل محبوب، وقد قدمنا أن هذا جواب القسم على الراجح[٤].

---

(١) -انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير ٤/ ٥١٧

(٢) -انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١/٩٢٦.

(٣)سورة الشمس ٩١ الآية ٩ .

(٤) -انظر: فتح القدير، الشوكاني ٥/٤٤٩.

قال الطبري: "وهذا هو موضع القسم، كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال: قد وقع القسم ها هنا قد أفلح من زكاها" (١).

وكونه موضع القسم دليل على أن الله ﷻ يقسم بأن هناك من الناس من يمتلك مقومات الفلاح إذا اتبع منهج الله ﷻكما بينه في كتابه، وهناك من يبتعد عن مقومات الفلاح فيكون من أهل الخيبة الذين دسوأأنفسهم فانغمست في المعاصي وابتعدت عن طاعة الله ﷻ.

وهذا يؤكد نظرة الإسلام المعتدلة إلى الطبيعة الإنسان التي تنظر إلى الإنسان باعتباره يمتلك مقومات الفلاح وفي الوقت نفسه من الممكن أن يبتعد عن مقومات الفلاح، فهو يستطيع السير في أحد الطريقين.

أما وجهات النظر الفلسفية الوضعية فقد تباينت حول ماهية الإنسان؛ فبعضها فسر الطبيعة الإنسانية على أساس الغرائز، وأنها تنشأ مع الطفل حين مولده، فينبغي أن تُحترم وتُقدر.

وهناك النظرة الثنائية للطبيعة الإنسانية،وهى النظرة المسيحية؛ حيث تعتبر الجسم وعاءً للروح وتقر بأن الإنسان أقرب إلى الشر والخطيئة؛ لأن طبيعته المادية فرضت عليه ذلك.

وهناك النظرة الثنائية من حيث: إن الإنسان عقل محمول على جسم وتعتبر العقل أسمى من الجسم فهي تمجد العقل وتعلى من شأنه وتحقر الجسم وتقلل من شأنه (٢).

---

(٥) -جامع البيان في تأويل القرآن ٢١٢/٣٠.

(٢) -فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، د. محمد منير مرسى ص ١٢٣،١٩٧، ١٢٤.

أماالقرآن الكريم، فقد ذكر الله ﷻ في كتابه الحكيم تكريمه لهذا الإنسان وتفضيله على كثير من خلقه، كما قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1] يخبر الله ﷻ عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها[2].

فقد جعلنا لهم شرفا وفضلا، وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال، وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتحمل بإرادته وقصده وتدبيره، وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم[3].

ولذا فنظرةالإسلام للإنسان -هي نظرة مستقلة تختلف عن غيرها اختلافاً جوهرياً، فللإنسان من وجهة نظر الإسلام طبيعة متعددة الخصائص والدوافع والميول ويرجع بعض ذلك إلى التكوين المادي وبعضه الآخر إلى التكوين النفسي والروحي والعقلي، وبعض ذلك إلى العلاقة القائمة بينهما، فهو أمشاج من هذا كله، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ

---

(١)- سورة الإسراء ١٧ الآية ٧٠

(٢) -انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٥٢.

(٣) -الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٩٣بتصرف.

ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[1]فقد قيل في(أمشاج) خلط ماء الرجل بماء المرأة وقيل: هو اختلاط أمر الجنين بالنقلة من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى غير ذلك،فهو أمر مختلط، وقيل: هو اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء فيه، ونبتليه؛ أي: نختبره بالإيجاد والكون في الدنيا[2].

فقد بيناالله ﷻ له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفه طريق الخير والشر وله أن يختار فهو :

(إما شاكرا وإما كفورا)؛ أي: إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا[3].

إذن: الهدف من خلقه بهذه الصورة – كما تشير الآية – هو الابتلاء؛ إذ وضع اللهﷻ أمامه سبيلين سبيل الخير والإنسان فيه استعداد لهذا السبيل، وسبيل الشر وفيه استعداد أيضا لهذا الطريق.

قال ﷻ:﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[4]يعني الطريقين: طريق الخير وطريق الشر؛ أي: بيناهما له بما أرسلناه من الرسل–عليهم السلام–[5].

---

(1) – الإنسان ٧٦ الآيتان ٢،٣

(٢) –المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٥/٤٠٩بتصرف.

(٣) –انظر: معالم التنزيل ٤/٤٢٧.

(4) – البلد ٩٠ الآية ١٠.

(٥) –انظر: جامع البيان في تأويل القرآن٣٠/١٥٥، ١٥٧.

وفلاحه مرهون باتباع الخير، قال الله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[1] قد نجح وأدرك طلبته من تطهر من الكفر ومعاصي الله ،وعمل بما أمره الله به فأدى فرائضه، وذكر الله فوحّده ودعاه ورغب إليه؛ لأن كل ذلك من ذكر الله ﷻ، فصلى الصلوات وذكر الله ﷻ فيها بالتحميد والتمجيد والدعاء[2].

فالإنسان يستطيع السير في طريق الفلاح، كما يمكنه السير في طريق الشر فيخسر الدنيا والآخرة.

فقد أودع الله في الإنسان عقلا وشهوة حتى يجاهد نفسه فيفوز بالفلاح وبرضوان الله ﷻ، وهو في الوقت نفسه ليس كالملائكة محكوماً عليه باتباع الخير المحض.

وليس كإبليس مدفوعاً إلى إتباع الشر، بل فيه القدرة على أن يكون كالحيوان إذا اتبع شهوته وغرائزه، ويستطيع أن يكون كملك كريم لا يتبع إلا الخير ويستطيع أن يكون شيطاناً مارداً يفسق ويلحق الضرر بالناس ويسوقهم إلى المهالك ويملأ الأرض ظلماً وطغياناً، ثم يستطيع أن يتأله فيكونمتشبها بالإله العزيز الجبار المتكبر يجعل الناس يعظمونه ويقدسونه، وعندما ننظر إلى تاريخ الإنسانية نجد أنماطا من الناس من هذا النوع وذاك.

---

(١) – سورة الأعلى الآيات: ١٤ –١٦.

(٢) –الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٥.

وهنا نجد الرسول ﷺ يعبر عن هذه الحقيقة عندما يقول " إن للشيطان لمة بابن ادم "في قلبه" وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله،ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ثم تلا قوله ﷺ :﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٦٨][1].

وإذا كان هذا شأن الطبيعة الإنسانية فهل يصح بعد ذلك أن نقول-كما تقول بعض المذاهب الفلسفية – أنها طبيعة خيرة أو شريرة أو غريزية أو عقلية على الإطلاق، الحقيقة أنه ليس من الحق أن نصف هذه الطبيعة بالخير أو بالشر؛ ذلك أن ما أثبتنا فيه من دواع تعتبر استعدادات للقيام بتلك الأعمال التي أشرنا إليها شأنها شأن أي شيء يصلح استعماله في الخير والشر معاً[2]

فالإنسان قابل من طرفيه هذين – المادي والروحي – أن يهبط أو يصعد بحسب التوجيه الذي يوجه إليه. والغاية العليا للإسلام: "هي إيجاد التوازن في نفس الفرد، فيؤدى ذلك إلى إيجاد التوازن في المجتمع، وفى الإنسانية كلها بعد ذلك. ووسيلته في ذلك أن يمسك بالإنسان من ضبط

---

(١)-سورة البقرة ٢ الآية ٢٦٨. سنن الترمذي كتاب التفسير باب (١٠) حديث رقم (٢٩٨٨)، وقال حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في المشكاة برقم ٧٤.

(٢) – انظر:علم الأخلاق الإسلامية أ.د / مقداد يالجن ص ١٤٤ ، ١٩٢ ،١٩٣.

الصعود، ليساعده على موازنة الثقل الذي يجذبه إلى الأرض، ولكن لا يعنف من جذبه إلى أعلى حتى لا يمزق أوصالاً أو يقطع ما بينه وبين الأرض من صلات ، لأنه حين ذلك يفقده التوازن المنشود "[١].

والإسلام أيضا ينظر إلى الإنسان نظرة تقوم على أساس الترابط بين جوانبه المختلفة فلا يسمح بتنمية جانب مقابل إهمال الجوانب الأخرى، وهذا يدل على أن كلية الإسلام هي التي تملك خاصية التوازن بين جميع جوانب الإنسان الجسدية،والروحية،والعقلية. فالإنسان في نظر الإسلام كل لا يتجزأ ، وقد صرح القرآن الكريم بذلك؛ حيث يبين منهج الإنسان المعتدل في تلك الدنيا، فقال ﷻ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٢] أي: اطلب بمعظم وأكثر ما أعطاك الله من مال وصحة حصول الثواب بالإنفاق منها في سبيل الله وما أوجبه ورغب فيه من القربان ووجوه البر[٣] ؛ فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح، قال الزجاج معناه لا تنس أن تعمل لآخرتك لأن حقيقة نصيبالإنسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته، وقال الحسن وقتادة معناه: لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال[٤]

---

(١)- انظر:الإنسان بين المادية والإسلام محمدقطب ص ١٥.

(٢) - سورة القصص ٢٨ الآية ٧٧ .

(٣)- انظر:التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧٨/٢٠.

(٤)- انظر: فتح القدير، الشوكاني ١٨٦/٤.

وهذا يؤكد أن للإسلام نظرته المتميزة للحياة الدنيا فهو ينظم جميع شئونها ويحل كافة مشكلاتها ويعالج كل قضاياها لأنه يريد من الإنسان أن يتحمل الخلافة في الأرض بأمانة وقوة، لذا رسم له منهج الحياة الأمثل فليس في الإسلام طريق مستقل للحياة الدنيا وأخر مستقل للآخرة وإنما هو طريق واحد تصلح به الدنيا والآخرة وهو طريق التقوى والإيمان والعمل الصالح(١).

قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(٢)

أخبرهم يامحمد أنك لست بإله قائلا لهمإنما أنا بشر مثلكم، لكني فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه إلي ، الذي غايته الإخبار لكم ، أنما إلهكم إله واحد، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة ، وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه ، وينيلكم ثوابه ، ويدفع عنكم عقابه، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا، وهو الموافق لشرع الله ، من واجب ومستحب،ولا يرائي بعمله، بل يعمله خالصا لوجه الله تعالى ، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة ، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب ، وأما من عدا ذلك ، فإنه خاسر في دنياه وأخراه ، وقد فاته القرب من مولاه ، ونيل رضاه(٣).

---

(١)-انظر: كائز الإيمان للشيخ محمد الغزالي ص ٥٨،التصور الإسلامي للكون والحياة د.عثماتضميريةص ٦٣،والإنسانية عبدالكريم نيازى ص ١٥

(٢)- سورة الكهف١٨ الآية ١١٠

(٣)-تفسير السعدي ٤٨٩/١.

فمن يخاف ربه يوم لقائه ويراقبه على معاصيه ويرجو ثوابه على طاعته فليعمل عملا صالحا يقول فليخلص له العبادة وليفرد له الربوبية[١].

وهكذا رسم القرآن الكريم الطريق للإنسان إذا أراد الفلاح والنجاة من الخيبة والخسران والله أعلم.

(١)-جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ٣٩/١٦.

المبحث الأول:

ضوابط الطبيعة الإنسانية في الجانب العقلي.

العقل الإنساني جوهرة فريدة ودرة ثمينة أودعها الله ﷻ في الإنسان يتأمل به بديع خلق الله ﷻ، ويحكم به على فاسد الأمور من صالحها بأمر الله ﷻ، ويتبع به طريق الهداية ويتجنب به طريق الضلالة والغواية [١]، ولذلك سماه الله (الحجر) في قوله ﷻ:﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[٢]فقوله ﷻ: (لذي حجر)؛ أي: لذي عقل، سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي كما يسمى عقلا لأنه يعقله عن القبائح،ويمنعه من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال [٣].

فقد أقسم الله ﷻ بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع التقرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم.[٤]

---

(١)- انظر: أنظمة نحو تربية إسلامية د. الشرقاوي ص ٢٥، والوسطية في التربية الإسلامية،د.عبد الله الزهراني، ص١٩٩.

(٢)- سورة الفجر٨٩ الآيات ١-٥.

(٣)-معالم التنزيل تفسير البغوي ٤٨٢/٤.

(٤)-تفسيرالقرآن العظيم ٥٠٨/٤.

فأصل الحجر: المنع فمن يملك نفسه ويمنعهايسمى: ذا حجر، ومنه حجر الحاكم على فلان؛ أي: منعه وضبطه عن التصرف، ولذلك سميت الحجرة حجرة لامتناع ما فيها بها.[1]

والمعنى: هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مقنع لذي حجر، أي: إن في هذا القسم مكتفى لمن عقل عن ربهﷻ مما هو أغلظ منه في الأقسام.[2]

وقد قال اللهﷻ في موضع آخر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾[3] فبعد أن ذكر اللهﷻ آياته الدالة على كمال قدرته التي لو أعملوا عقولهم لأدركوا أن هناك إلها واحدا فآمنوا به وصدقوا ما جاءهم به الرسولﷺ، فتلك الآيات يتفطن لها ذوو العقول بالتأمّل والتفكّر، وينتبهون لها.

والنُهى: اسم جمع نُهْية بضم النون وسكون الهاء؛ أي: العقل، سمي نُهية لأنّه سبب انتهاء المتحلي به عن كثير من الأعمال المفسدة والمهلكة[4].

ولذلك يلفت اللهﷻالإنسان كي يتأمل الآيات الكونية في الأرض وفي نفسه وبالطبع لا يدرك هذا إلا صاحب العقل الذي يتأمل فيدرك الآيات بقلبه، قالﷻ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

(١)-الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٤٣.

(٢)-جامع البيان في تأويل آي القرآن ٣٠/١٧٣.

(٣)-سورة طه ٢٠الآية ٥٤ .

(٤)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦/٢٤٠.

وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[1] والمعنى: وفي الأرض عبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا ساروا فيها، ففيها دلائل واضحة وعلامات ظاهرة من الجبال والبر والبحر والأشجار والأنهار والثمار وفيها آثار الهلاك للأمم الكافرة المكذبة لما جاءت به رسل الله ودعتهم إليه، وخص الموقنين بالله لأنهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه فينتفعون به[2].

وقال قتادة: المعنى من سار في الأرض رأى آيات وعبرا ومن تفكر في نفسه علم أنه خلق ليعبد الله[3].

وقوله ﷻ:(وفي أنفسكم) إحالة على النظر في شخص الإنسان، فإنه أكثر المخلوقات التي لديها عبرة لما جعل الله ﷻ فيه مع كونه من تراب من لطائف الحواس ومن أمر النفس وجهاتها ونطقها واتصال هذا الجزء منها بالعقل ومن هيئة الأعضاء واستعدادها لتنفع أو تجمل أو تعين وقوله ﷻ:(أفلا تبصرون) توقيف وتوبيخ[4].

وقد ندد القرآن الكريم بالذين يعطلون عقولهم عن العمل ولا يستفيدون منها في التأمل والتفكير في نواميس الكون، والاهتداء للخالق ﷻ، فقد ختم الله أربع عشرة آية بقوله (أفلا تعقلون)، دليلا على

---

(١)-سورة الذاريات ٥١الآيتان ٢٠، ٢١ .

(٢)-انظر: تفسير الطبري ٢٦/٢٠٤، ٢٠٥، فتح القدير، الشوكاني ٥/٨٥

(٣)-الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٤٠.

(٤)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٥/١٧٥.

توبيخ من لا يعمل عقله متدبرا في آيات الله الكونية، كما ختم عشر آيات بقوله (لعلكم تعقلون)[1].

كما قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[2]

فمعنى قوله: (لهم قلوب لا يفقهون بها)؛أي: لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ولا يعتبرون بها حججه لرسلهفيعلموا توحيد ربهم ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم فوصفهم ربنا ﷻ بأنهم لا يفقهون بها لإعراضهم عن الحق وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر، ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته فيتأملوها ويتفكروا فيها فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحق بأنهم لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيعتبروها ويتفكروا فيها ولكنهم يعرضون عنها[3].

فهم بمنزلة من لا يفقه لأنهم لا ينتفعون بها ولا يعقلون ثوابا ولا يخافون عقابا، ولا يبصرون بأعينهم الهدى،ولا يسمعون بآذانهم المواعظ

---

(١)-انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي مادة (عقل).

(٢)-سورة الأعراف ٧ الآية ١٧٩ .

(٣)-جامع البيان في تأويل آي القرآن ١٣١/٩.

وليس الغرض نفي الإدراكات عن حواسهم، بل المراد أنهم لا ينتفعون بما يفقهون، فلأنهم لا يهتدون إلى ثواب، فهم كالأنعام؛ أي: همتهم الأكل والشرب وهم أضل، لأن الأنعام تبصر منافعها[1].

والحديث عن العقل على إطلاقه ليس هو موضوع البحث؛ وإنما موضوعه هو ضوابط الطبيعة الإنسانية في حدود المنهج الذي رسمهالقرآن الكريم لعمل العقل، وتتضح من خلال معايير الإسلام الثابتة – الكتاب والسنة – واللذان حددا للإنسان منهج التلقي الصحيح، والنظر القويم في الأعمال العقلية والمجالات الفكرية، حتى لا يقع فريسة للإفراط أو التفريط، أو يتطاول غروراً على ما ليس له به علم.

وقد حدد القرآن الكريم للعقل مساره الذي يحق له السير فيه طلباً للمعرفة وأداء لدوره الذي خلق من أجله، وإعفاء له مما لا طاقة له به، وفي الوقت ذاته عصمه من التطرف ذات اليمين أو ذات الشمال، أو التطاول على عظمة الخالق ﷻ ،أو الخضوع للشهوات المذلة لكرامة الإنسان .. ولم يقحمه فيما ليس من شئونه ولم يبخسه قدره أو يمنعه من مزاولة نشاطه في ميادينه الطبيعية [2]ولا يتحقق له ذلكإلا وفق ضوابط معينة ذكرها القرآن الكريم وهذه الضوابط منها ما هو سلوكي ومنها ما هو علمي أبينها في المطالب الآتية:

---

(١)-الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي ٣٢٤/٧.

(٢)-انظر: أزمة العقل المسلم د/ عبدالحميد أبو سليمان، ص ١١٢ وما بعدها. انظر المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، د/ محمد جميل الخياط، ص ٦٤.

المطلب الأول: ضوابط سلوكية.

١-**الموضوعية**:والقصد بالموضوعية هنا: تخلي الإنسان عن عواطفه وانفعالاته وموروثاته التي لا يقوم عليها دليل نقلي أو عقلي تجاه أي مسألة من المسائل يحتاج فيها إلى أخذ قرار أو إصدار حكم، شريطة أن تكون القضية موضع الطرح، مما يختلف فيها الأفهام ويقبل فيها النقاش وهي على هذا، "تعد معياراً أساسياً من معايير البحث يقوم على الصدق والعلم والأمانة والبعد عن الأهواء الشخصية" (١).

وبما أن الإسلام قد دعا إلى التجرد والموضوعية، وأكد على ذلك وبين مخاطر ترك هذا الخلق النبيل، فقد هيأ الإنسان ليكون أرضاً خصبة لمثل هذا الخلق، وقد تجلى هذا الخلق الإسلامي النبيل في حال المودة، حيث أمر الله ﷻ الإنسان بالعدل في القول، وبالوفاء العهد ولو كان ذا قربى،قال ﷻ :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

والمعنى: وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة

---

(١)- الموضوعية في العلوم التربوية د. عبد الرحمن صالح، ص ٦، ومنهجية التفكير العلمي في القرآن د. خليل عبد الله الحدري،ص ٢١٧.

(٢)-سورة الأنعام ٦الآية ١٥٢.

لكم ولا يحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره أن تقولوا غير الحق فيما احتكم إليكم فيه[1].

ويدخل فيه كل ما يتصل بالقول، كقول المرء في الدعوة إلى الدين وتقرير الدلائل عليه بأن يذكر الدليل ملخصاً عن الحشو والزيادة بألفاظ مفهومة معتادة، قريبة من الأفهام، ويدخل فيه أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقعاً على وجه العدل من غير زيادة في الإيذاء والإيحاش، ونقصان عن القدر الواجب، ويدخل فيه الحكايات التي يذكرها الرجل حتى لا يزيد فيها ولا ينقص عنها ومن جملتها تبليغ الرسالات عن الناس ، فإنه يجب أن يؤديها من غير زيادة ولا نقصان، ثم إنه تعالى بين أنه يجب أن يسوي فيه بين القريب والبعيد، لأن المقصود منه طلب رضوان الله ﷻ فلذلك لم يختلف ذلك بالقريب والبعيد[2].

وبعهد الله أوفوا؛ أي: ما عهد إليكم من الأمور المعدودة، أو أي عهد كان[3].

وهذا جامعٌ كلّ المعاملات بين النّاس بواسطة الكلام وهي الشّهادة،والقضاء ، والتّعديل ، والتّجريح ، والمشاورة ، والصّلح بين النّاس ، والأخبار المخبِرة عن صفات الأشياء في المعاملات : من صفات المبيعات ، والمؤاجرات ، والعيوب ؛ وفي الوعود ، والوصايا ، والأيمان؛ وكذلك المدائح والشّتائم كالقذف ، فكلّ ذلك داخل فيما يصدر

---

(١)-جامع البيان في تأويل آي القرآن ٨٦/٨.

(٢)-التفسير الكبير، الرازي ١٩٣/١٣.

(٣)- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٩٩/٣.

عن القول، والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق[١].

ويفصّل الله ﷻ القول في ذلك مطالبا الإنسان بالموضوعية والعدل في حكمه حتى لو كان على نفسه أو الوالدين والأقربين، وأيضا لا دخل للعاطفة في الحكم فإن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما، ثم ينهاه عن اتباع الهوى مبينا أن الذي يعين الإنسان على تلك الموضوعية- هو أن لا يتبع هواه، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[٢] يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين أن يكونوا في كل أحوالهم قائمين بالقسطفي المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين، أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته، العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان ، حتى على الأحباب ، بل على النفس[٣] فتقول الحقولو عاد ضرره عليك، فإن الله ﷻ سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه، فإن

---

(١)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦٦/٨.

(٢)- سورة النساء ٤الآية ١٣٥.

(٣)-تفسير القرآن المنان ٢٠٨/١.

الحق حاكم على كل أحد، فلا تراعي غنيا لغناه ولا تشفق على فقير لفقره،فالله يتولاهما، بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما[1].

وذكر الأقربين: إذ هم مظنة المودة والتعصب فجاء الأجنبي من الناس أحرى أن يقام عليه بالقسط ويشهد عليه[2].

فإذا قمتم بالشهادة لإنسان أو عليه فقوموا فيها بالعدل، فلا يحملنكم غني من شهدتم له أو فقره أو قرابته ورحمة منكم على الشهادة له بالزور ولا على ترك الشهادة عليه بالحق وكتمانها[3].

وهكذا يعلّم الله ﷻ العباد الموضوعية والتحري في العدل ولو على النفس كما أنه يذكر جانبا آخر للكافرين الذين نفى عنهم العلم النافع وأثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا وهو عن الآخرة هم غافلون،

قال ﷻ: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[4]

يعني يعلمون أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعيشون، وقال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن أن

---

(١)-تفسيرالقرآن العظيم١/ ٥٦٦.

(٢)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١٢٣/٢.

(٣)-تفسير الطبري ٣٢١/٥.

(٤) - سورة الروم٣٠الآية ٧.

يصلي، وهم عن الآخرة هم غافلون؛ أي: ساهون عنها جاهلون لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها[١].

ومع أن معرفة الحياة الدنيا ليست بمذمة، لأن المؤمنين كانوا أيضاً يعلمون ظاهر الحياة الدنيا، وإنما المذموم أن المشركين يعلمون ما هو ظاهر من أمور الدنيا ولا يعلمون أن وراء عالم المادة عالماً آخر هو عالم الغيب، والذَمّ لجهلهم لأنه أوقعهم في ورطة إهمال رجاء الآخرة وإهمالِ الاستعداد لما يقتضيه ذلك الرجاء[٢].

فقد ذكر الله ﷻ في تلك الآية أن المشركين يعلمون، ويغفلون فهم عالمون بأمور دنياهم مع قصرها وسرعة زوالها ويغفلون عن الآخرة مع بقائها وخلودها[٣].

٢- التثبت قبل إصدار الحكم.

قد عدّ بعض المفكرين التثبت من ثوابت الموضوعية، وذكر أن القرآن الكريم "قد ركّز على هذا الجانب حتى لا يقع المسلم في سلسلة من الأخطاء نتيجة للفهم الخاطئ؛ لأن المخاطرة في التخلي عنهذا الخلق الإسلامي النبيل مرتبطة بعواقب وخيمة، سماها القرآن الكريم "الندم" وما

---

(١)-معالم التنزيل -تفسير البغوي ٤٧٧/٣.

(٢)-انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥٠/٢١.

(٣)-انظر: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ،د.خليل عبد الله الحدري ص ٢٢٠.

له من آثار سلبية على الإنسان في جوانب حياته النفسية والاجتماعية، والسلوكية، وغيرها [1].

ومن هنا جاء الأمر بالتثبت صريحاً واضحا جليا في القرآن الكريم، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[2]

يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله، فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله ﷻ عن اتباع سبيل المفسدين[3].

كان رسول الله ﷺ قد بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله ﷺ، وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا يا رسول الله: إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ﷺ فأنزل الله

---

(١)-انظر:فصول في التفكير الموضوعي للدكتور، عبد الكريم بكار ، ص ٥١.

(٢)- سورة الحجرات ٤٩الآية ٦.

(٣)-انظر: تفسير القرآن الكريم -تفسير ابن كثير ٢٠٩/٤.

عذرهم في الآية الكريمة،فكان نبي الله ﷺ يقول: التبين من الله والعجلة من الشيطان[١].

فتصبحوا على ما فعلتم بهم من إصابتهم بالخطأ نادمين على ذلك مغتمين له مهتمين به[٢].

وقوله: (فتبينوا) قرأه قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ (فَتَثَبَّتُوا) مِنَ التَّثَبُّتِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (فتبينوا) مِنَ التَّبَيُّنِ[٣].

أما من قرأ (فتثبتوا) بالثاء من التثبت؛ أي: فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر، لأن التثبت يقدر عليه كل من أراده، لكن ليس كل من أراد أن يتبين قدر عليه.

وقرأ الباقون (فتبينوا) بالياء والنون من البيان؛ أي: فافحصوا واكشفوا عن كل أمر من لقيتموه واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا به حتى تتبين لكم الحقيقة، فالتثبت أولا ويأتي بعده التبين، فليس كل من تثبت في أمر تبينه أولا، فقد يتثبت ولا يتبين له الأمر[٤].

كما جاء الأمر صريحا بالتثبت مقترنا بالنهي الواضح الصريح عن اتهام الناس في نيتهم وأن نتعامل معهم وفق ظاهرهم، ولا نفتش في نية الناس، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا

---

(١)-انظر:تفسير الطبري ١٢٤/٢٦.

(٢)-فتح القدير، الشوكاني ٦٠/٥.

(٣)- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/ ٢٥١.

(٤)-انظر: حجة القراءات، ابن زنجلة ٢٠٩/١،الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب ٣٩٤/١

نَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾[1]

قال الطبري: "يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم إذا ضربتم في سبيل الله؛ أي: إذا سرتم مسيرا لله في جهاد أعدائكم (فتبينوا)؛ أي: فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره عليكم، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره ولا تتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم ولله ولرسوله"[2].

فقوله ﷻ: فتبينوا؛ أي: فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية، وفي قوله ﷻ: (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) فلا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الإسلام أو لمن ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد: لست مؤمنا، وإنما أظهرت ما أظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه، وقرئ مؤمنا بالفتح،والمعنى: أي مبذولا لك الأمان للمبالغة في النهى والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطئهم ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما[3].

كما ذكر الله ﷻ في معرض القصص ما يفيد وجوب التبين قبل الحكم بالعقوبة، كما ورد ذلك في قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع الهدهد حين

---

(1) - سورة النساء ٤الآية ٩٤.

(٢)-جامع البيان في تأويل آي القرآن.تفسير الطبري ٥/٢٢١.

(٣)-انظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود ٢/٢١٨

تفقد الطير فلم يجده فلم يعمد إلى إنزال العقوبة به قبل أن يتبين الأمر، قال ﷻ: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[1]

فلأن نبي الله سليمان عليه السلام ليس ملكا جبارا في الأرض، إنما هو نبي، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائيا قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة النبي العادل في قوله:أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ؛ أي: حجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه،فلا بد أن يبدي حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه، وإنصافه، أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل ، لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته ، قد تحتمل أنها لعذر واضح ، فلذلك استثناه ، لورعه وفطنته[2].

ولذلك جعل قوله: (أو ليأتيني بسلطان مبين) ثالث الأمور التي جعلها جزاء لغيبته وهو أن يأتي بما يدفع به العقاب عن نفسه من عذر في التخلف مقبول، والسلطان: الحجة، والمبين: المظهر لحق المحتج بها، وهذه الزيادة من النبي سليمان عليه السلام استقصاء للهدهد في حقه لأن الغائب حجته معه

---

(١)-سورة النمل ٢٧الآيتان ٢١،٢٢.

(٢)-تفسيرالقرآن المنان تفسير السعدي ٦٠٤/١بتصرف.

وقد ذكر سليمان أنه سينظر ليتبين له صدق الهدهد من كذبه،لأنه ربما يكون قد خشي أن يكون ذلك الكلام الذي سمعه من تلقاء الهدهد كلاماً ألقاه الشيطان من جانب الهدهد ليضلّل سليمان ويفتنه بالبحث عن مملكة موهومة ليسخر به كما يسخر بالمتثائب، فعزم سليمان على استثبات الخبر بالبحث الذي لا يترك ريبة في صحته خزياً للشيطان[1].

وهذا يؤكد أن سليمان لم يتعجل في عقوبة الهدهد قبل أن يتثبت ويسمع منه فلعله معذور.

٣ـ الصدق في النقل.

الصدق خلق إسلامي رفيع يعكس ما في أعماق النفس المؤمنة من صفاء وحسن نية، وقد أكد القرآن الكريم عليه بقوله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2]،والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده وكونوا في الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة؛ أي: كونوا مع من صدق الله الإيمان به فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذب قيلهم فعلهم[3].

---

(١)-انظر:تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٤٧/١٩.

(٢)-سورة التوبة ٩ الآية ١١٩.

(٣)-جامع البيان في تأويل آي القرآن تفسير الطبري ٦٢/١١بتصرف.

وقال ابن عباس ﷺ كونوامع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم، وقيل: مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة [١]

وقيل مع الصادقين؛ أي: الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم، قال ابن العربي : وهذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى، فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق في العقيدة والمخالفة في الفعل وصاحبها يقال له الصديق كأبي بكر وعمر وعثمان ومن دونهم على منازلهم وأزمانهم[٢]

كما حذرت السنة النبوية المطهرة من الكذب في قول النبي ﷺ: "إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور" .. الحديث [٣] ، وصاحب التفكير العلمي المنضبط حين ينقل عن الآخرين كلاماً مسموعاً أو مكتوباً،

فإنه يتحلى بهذه الفضيلة وهو ما أكدت عليه منهجية البحث العلمي المتميزة عند المسلمين التي تقول: "إذا كنت ناقلاً فالصحة، وإذا كنت مدعياً فالدليل"[٤].

---

(١)-انظر معالم التنزيل:تفسير البغوي ٣٣٧/٢بتصرف.

(٢)-الجامع لأحكام القران تفسير القرطبي ٢٨٩/٨بتصرف.

(٣)-صحيحالبخاري ، كتاب الأدب، باب : ما ينهى عن الكذب ، رقم ٦٠٩٤.

(٤)-انظر: منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي صابر، ص ١٦، ومنهجية التفكير العلمي ،د.خليل عبد الله الحدري ص٢٢٤.

٤- الأمانة العلمية.

لقد أكّد الإسلام على هذا الخلق النبيل على جهة العموم في قاعدة عظيمة القدر، جليلة النفع،ألا وهي حفظ حقوق الآخرين، سواء أكانت مادية أم معنوية، منها الحقوق العلمية والفكرية [١].

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[٢]قال أبو السعود: "وفي تصدير الكلام بكلمة التحقيق(إن)، وإظهار الاسم الجليل وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة، وتأكيد وجوب الامتثال به، والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه، وهو خطاب يعمّ حكمه المكلفين قاطبة،كما أن الأمانات تعمّ جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله ﷻ، وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية[٣].

قد أمر الله ﷻ المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور، سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات، أو من باب الدنيا والمعاملات، وذلك لما ذكر في الآية السابقة الثواب العظيم للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وكان من أجل الأعمال الصالحة الأمانة، لا جرم أمر بها في هذه الآية[٤].

---

(١)انظر:منهجية التفكير العلمي،د.خليل عبد الله الحدري ص ٢٢٦ .

(٢)-سورة النساء ٤الآية ٥٨.

(٣)-تفسير أبي السعود ١٩٢/٢بتصرف.

(٤)-التفسير الكبير، الرازي ١١١/١٠.

وتطلق الأمانة على ما يجب على المكلّف إبلاغه إلى أربابه ومُستحقيه من الخاصّة والعامّة كالدّين والعلم، وغير ذلك، قال ﷻ:﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[1]

أي:لا تنقصوا الناس شيئا من حقوقهم أيّ حق كان،فلاتبخسوا أحدا شيئا ويجوز أن يكون الجمع للإشارة إلى الأنواع، فإنهم كانوا يبخسون كل شيء جليلا كان أو حقيرا وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المراد بالذكر لغاية انهماكهم فيه [2].

وهذا عام في كل حق يثبت لأحد ألايهضم وفي كل ملك ألايغصب عليه مالكه(ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً[3].

وعن أبي بكر الصديق ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "المتشبع بها لم يعط كلابس ثوبي زور"[4].

المتشبع؛ أي: المتزين بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل، ولعل التثنية في قوله:(ثوبي زور)للإشارة إلى أن كذب المتحلي مثنى لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ وعلى غيره بما لم يعط[5].

---

(1)سورة الشعراء ٢٦ الآية ١٨٣.

(٢)-روح المعاني، الألوسي١١٨/١٩.

(٣)-التفسير الكبير، الرازي١٤٠/٢٤.

(٤)-صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: المتشبع بما لم ينل، رقم ٥٢١٩.

(٥)-انظر: فتح الباري، ابن حجر ٣١٧/٩،٣١٨.

٥- عدم استعداء الرأي الآخر عند الجدال.

من الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي تميز صاحب التفكير العلمي المنضبط حرصه على هداية الآخرين إلى الصواب خاصة في مواطن النقاش التي كثيراً ما تحتد فيها الأنفس وتتصارع فيها الحجج والبراهين، كل يريد أن يثبت وجوده ولربما أنكر أحدهم الحقيقة في ساحة الجدال عناداً، واستكباراً، وقد جاء مصداق ذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[1]

أمر الله ﷻ في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الأدب وإلانة القول وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان، فيقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة، وهو أن لا يكون ذكر الحجة مخلوطاً بالشتم والسب[2].

فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة[3].

والمقصد الأهم من هذا التأديب: تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضاً بحسن المعاملة وإلانةِ القول، لأن القول ينم عن المقاصد، ثم

---

(١)-سورة الإسراء ١٧ الآية ٥٣.

(٢)-انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن١٠٢/١٥،الجامع لأحكام القران-تفسير القرطبي ٢٧٧/١٠، التفسير الكبير، الرازي ١٨٢/٢٠.

(٣)-تفسيرالقرآن العظيم -ابن كثير ٤٦/٣بتصرف.

تأديبهم في مجادلة المشركين اجتناباً لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم[١].

فالمسلم لا يجادل الآخرين، ولا يستعديهم على الحق؛ لأن الحق مقصوده، ولعلمه أن كسب القلوب خير من كسب المواقف [٢]، وقد كان دأب الإمام الشافعي – رحمه الله – محبة أن يصيب خصمه الحق عند المناقشة، فكان يقول : "ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ"[٣].

---

(١)– تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣٢/١٥.

(٢)– انظر: منهجية التفكير العلمي،د.خليل عبد الله الحدري ص ٢٢٨.

(٣)–آداب الشافعي ومناقبه للإمام الرازي ، ص ٣٢٦ .

المطلب الثاني : الضوابط العلمية:

١- عدم قبول أي فكرة إلا بدليلها[١] :

وقد أكد القرآن الكريم في منهجيته العلمية على أهمية التثبت من صدق المعلومة التي تبنى عليها المواقف. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالدليل النقلي أو العقلي، وقد جاءت المطالبة بالدليل على صدق ما يدلي به الإنسان في مواطن كثيرة من القرآن، منها قوله ﷻ:﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾[٢]، قال الطبري: "قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام المحرمين: هل عندكم بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر أو حجة توجب لنا اليقين من العلم فتخرجوه لنا؛ أي: فتظهروا ذلك لنا وتبينوه كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع، فأنتم ما تقولون أيها المشركون وتعبدون من

---

(١)-منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم ،د.خليل عبد الله الحدري ص ٢٣٢، وفصول في التفكير الموضوعي، د /عبد الكريم بكار ص ٢٦٠.

(٢) -سورة الأنعام ٦الآية ١٤٨.

الأوثان والأصنام ما تعبدون وتحرّمون من الحروث والأنعام ما تحرمون إلا ظنا وحسبانا أنه حق وأنكم على حق وهو باطل وأنتم على باطل"[1].

فأي كتاب وحجة من الله ﷻ معكم فتخرجوه لنا حتى يظهر ما تدعون على الله ﷻ من الشرك وتحريم ما حرمتموه، فلا دليل على ما تزعمون، إن تتبعون إلا الظن في هذا القول، وإن أنتم إلا تخرصون، لتوهموا ضعفتكم أن لكم حجة[2].

ولا شك أنه استفهام على سبيل الأنكار، وذلك يدل على أن القائلين بهذا القول ليس لهم به علم ولا حجة، وهذا يدل على فساد قولهم، لأن كل ما كان حقاً كان القول به علماً[3].

وقوله ﷻ: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[4]، والمعنى: قل هاتوا برهانكم؛ أي: حجتكمعلى صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى إن كنتم صادقين في ذلك، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان، وفي إضافة البرهان إلى ضميرهم تبكيت لهم، تهكما بهم لما فيها من إيهام أن لهم برهانا وأني لهم ذلك[5].

---

(١)-جامع البيان في تأويل آي القرآن - تفسير الطبري ٨/ ٧٩ بتصرف.

(٢)-انظر: تفسير البغوي ٢/١٤٠، تفسير القرطبي ١٢٨/٧.

(٣)-التفسير الكبير، الرازي ١٨٥/١٣.

(٤)-سورة النمل ٢٧ الآية ٦٤.

(٥)-انظر: تفسير أبي السعود ٢٩٦/٦، تفسير ابن كثير ٣٧٣/٣.

٢- عدم خوض الإنسان في قضية لا يحسنها[١]:

وهذا ضابط علمي قرآني لصاحب التفكير السليم الذي يعرف قدراته وإمكاناته، فلا يتحدث في قضية لا يحسن الحديث عنها، ولا يقتحم مسألة إلا وهو متخصص فيها، متقن لها، وقد أكد على ذلك القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٢] نهى ﷻ في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم، ويشمل ذلك قوله : رأيت ولم ير ، وسمعت ولم يسمع ، وعلمت ولم يعلم، ويدخل فيه كل قول بلا علم وأن يعمل الإنسان بما لا يعلم[٣]، فالآية تنهى الإنسان عن أن يقول ما لا يعلم أو يعمل بما لا علم له به[٤].

فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسؤول عما قاله وفعله، وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله ﷻ لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله ﷻ، وإخلاص الدين له، وكفها عما يكرهه الله ﷻ[٥].

وقد ختم الله ﷻ الآية بما يفيد مسئولية الإنسان عما يسمع ويبصر ويقول ما لا علم له به، فالله ﷻ يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما

---

(١)-منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، د.خليل عبد الله الحدري، ص ٢٣٧.

(٢)-سورة الإسراء ١٧ الآية ٣٦.

(٣)-انظر: أضواء البيان، محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، ١٤٥/٣.

(٤)-انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢٢٧/٣.

(٥)-انظر: تفسير السعدي ٤٥٧/١.

قال مما لا علم له بـه، فيقـع تكذيبـه مـن جوارحـه وتلـك غايـة الخزي،فالإنسان كان عنه مسؤولا؛ أي: عما حصل لهؤلاء من الإدراكات ووقع منها من الخطأ[1].

٣. العناية بالمصطلحات والمفاهيم.

هذا من أهم مستلزمات منهجية التفكير السليم التي أكّد عليها القرآن الكريم، فإن العناية بالمصطلحات أمر بالغ الشأن ما دامت اللغة "ظـاهرة اجتماعية تخضع لكل ما تخضع له الضوابط الاجتماعية الأخرى، وهـي تمر في كل أطوارها بعين المراحل التي يمر بها الكائن الحي"[2].

وإن المسلم عموماً – فضلاً عن الباحث العلمي – يدرك أثر الكلمـة وخطورة اللفظ فهو يملك الكلمة ويزنها قبل أن يخرجها حتـى لا تكـون هناك عواقب وخيمة من جراء انفلاتها، ومن حق المسـتمع للكلمـة أن تحدد له بوضوح، وأن يجلى معناها حتى لا يختلط فهمه، ويضل فكـره لكون اللغة ليست أداة للتوصيل فحسب، بل هي أداة لتشكيل الفكر أيضاً، ولذلكقد حذر النبيﷺمن خطورة الكلمة،فعن أبي هريرةﷺ عـن النبـي ﷺقال: إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفـع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم[3].

---

(١)-انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٣/٤٥٦.

(٢)-فصول في التفكير الموضوعي، د. عبد الكريم بكار، ص٢٦٠.

(٣)-صحيح البخاري، كتاب الرقاق، بَاب حِفْظِ اللِّسَانِ٥/٢٣٧٧رقم ٦١١٣.

قوله: (لا يلقي لها بالا)؛ أي: لا يتأملها بخاطره ولا يتفكر في عاقبتها ولا يظن أنها تؤثر شيئا فقد يتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة

وفي السخط قال: يهوي، قال عياض المعنى: ينزل فيها ساقطا وقد جاء بلفظ ينزل بها في النار لأن دركات النار إلى أسفل فهو نزول سقوط[١].

ويقول الشاعر:

وزن الكلام إذا نطقت فإنما

يبدى عيوب ذوي العقول المنطق [٢].

والمصطلحات باب خطير يلج منه المغرضون عندما يريدون تمرير ألعوباتهم على دهماء الناس، فيستخدمون عند طرحهم تعميمات خطيرة، يريدون منها شيئاً، والناس تفهم منها شيئاً آخر: "كل هذه الملابسات جعلت إمكانات التلاعب بالألفاظ، واتخاذها وسيلة للتضليل بدل أن تكون وسيلة للإبانة والتوضيح واسعة جداً) [٣].

---

(١)-فتح الباري، ابن حجر ٣١١/١١.

(٢)-البيت للشاعر صالح بن عبد القدوس وهو من الكامل ت١٦٠، ورد في إعلام الناس بما وقع للبرامكة للإتليدي ١١٥/٢.

(٣)-انظر: فصول في التفكير الموضوعي،د عبدالكريم بكار ص ٢٦١، وثقافة الضرر،د.جمالسلطان،ص ٣٥ وما بعدها.

وقد نبّه القرآن الكريم على ذلك بقوله ﷻ:﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[1] ، فقد ذكر الواحدي -يرحمه الله - : أن الآية نزلت في أعراب بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السرّ، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول اللهﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنّون عليه، فأنزل اللهﷻ هذه الآية فيهم"[2].

والمعنى: قالت الأعراب صدّقنا بالله ورسوله فنحن مؤمنون، قال الله ﷻلنبيه محمد ﷺقل لهؤلاء الأعراب قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا،قيل: إنما أمر النبي ﷺ بذلك لأن القوم كانوا صدقوا بألسنتهم ولم يصدقوا قولهم بفعلهم، فقيل لهم: قولوا أسلمنا لأن الإسلام قول والإيمان قول وعمل[3].

ففيه إنكار على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادّعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد"[4]؛ أي: لم يكن

---

(1) - سورة الحجرات ٤٩ الآية ١٤.

(٢)-أسباب النزول للواحدي ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣)-جامع البيان في تأويل آي القرآن- تفسير الطبري ١٤١/٢٦.

(٤)- تفسير القران العظيم لابن كثير ٤ /٢١٩.

ما أظهرتموه بألسنتكم عن مواطأة قلوبكم، بل مجرد قول باللسان من دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة[١].

وهناك نماذج لهذه المصطلحات العامة في دلالتها والضبابية في مقصود أصحابها من هذه المصطلحات، مصطلح "التمييز" بين الدين والدولة بدلاً من مصطلح "الفصل" ومصطلح "التنوير" : بدلاً من التغريب وهلم جرا [٢].

٤- التناسب بين المجال المعرفي والمنهج العلمي :

وهذا ضابط علمي قرآني يؤكد على أهمية المنهج العلمي في البحث عن الحقيقة، وضرورة تناسبه مع المجال المعرفي الذي يبحث فيه، فالتقدم العلمي مرهون بطريقة البحث وتقدم البحث يعتمد على المنهج ويدور معه وجوداً وعدماً، صدقاً وزيفاً" [٣].

وقد وضّح ذلك القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[٤]

فقد زعم المشركون أن الملائكة إناث وأنهن بنات الله، وهذه دعوى تحتاج إلى دليل ومنهج علمي دقيق يوصل إلى هذه النتيجة: ولا يمكن أن

---

(١)-فتح القدير، الشوكاني ٦٨/٥.

(٢)-ثقافة الضرر ، د جمال سلطان، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣)-انظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، ص ١٣،ومنهجية التفكير العلمي في القرآن،د.خليل عبدالله الحدري ٢٤٦.

(٤)-سورة الزخرف ٤٣ الآية ١٩.

يكون هناك منهج علمي يثبت ذلك غير المشاهدة ، فإما أن يكونوا مع الله حين خلقهم، وهذا كذب وافتراء على الله أو يكونوا قد شاهدوا الملائكة عياناً وهذا بهتان عظيم ؛ لذا أنكر الحق ﷻ ذلك فقال ﷻ ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[1] ؛ "أي: أحضروا خلق الله ﷻ إياهم؛ فشاهدوهم إناثا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم، وفيه توبيخ لهم وإظهار فساد عقولهم وادعائهم وانها مجردة من الحجة وهذا نظير الآية الرادة على المنجمين وأهل الطبائع"[2].

وقرأ نافع وأبو جعفر بهمزتين أولاهما مفتوحة والأخرى مضمومة وسكون شين) أَأُشْهِدوا (مبنياًللنائب، وعليه فالهمزة للاستفهام وهو للإنكار والتوبيخ،والمعنى: أأشهدهم الله خلق الملائكة،

وقرأه الباقون بهمزة مفتوحة فشين مفتوحة بصيغة الفعل، فالهمزة لاستفهام الإنكار دخلت على فعل شَهِد، أي ما حضروا خلق الملائكة[3].

٥- الإحاطة بالقضية عند مناقشتها.

ويقصد بالإحاطة هنا التوجيه في النظر المعرفي إلى جميع مادة المعرفة، واستجماع المعطيات للقضية المعنية التي يقصد العقل إلى

---

(١)-السورة والآية السابقة .

(٢)-انظر:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ابن عطية ٥/٥٠ ،تفسير البيضاوي ٥/١٤٢.

(٣)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٥/١٨٣.

كشف الحق فيها" [١]، وقد شنّع القرآن الكريم على أصحاب عقلية البعد الواحد الذين يتخذون مواقفَ ويصدرون أحكاماً قبل أن يحيطوا بالقضية[٢].

قال ﷻ:﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[٣]،فقد كذبوا بالقرآن وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره وعليهم أن يعلموا ذلك بالسؤال، فهذا يدل على أنه يجب أن ينظر في التأويل، فهم لم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم أو كذبوا بما في القرآن من ذكر البعث والجنة والنار ولم يأتهم تأويله؛ أي: حقيقة ما وعدوا في الكتاب، قاله الضحاك، وقيل للحسين بن الفضل : هل تجد في القرآن من جهل شيئا عاداه، قال نعم في موضعين، في قوله ﷻ:﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾[٤]

،وقوله ﷻ:﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾"[٥].فلا جرم وقعوا في التكذيب والجهل،فقد أشار القرآن الكريم إلى عدم علمهم

---

(١)-دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، د. عبد المجيد النجار، ص ٢٨٢ .

(٢)- فصول في التفكير الموضوعي، د. بكار ، ص ٢١٩.

(٣)-سورة يونس ١٠الآية ٣٩.

(٤)-السورة السابقة الآية ١٠.

(٥)-سورة الأحقاف ٤٦الآية ١١.

بهذه الأشياء، كما بين بقوله: (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) إشارة إلى عدم جدهم واجتهادهم في طلب تلك الأسرار[1].

فقد سارعوا إلى تكذيبه من غير أن يتدبروا فيه ويقفوا على ما فى تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه ليس مما يمكن أن يكون له نظير يقدر عليه المخلوق، والتعبير بقوله:(بما لم يحيطوا بعلمه)[2]

للإيذان بتمام جهلهم به وأنهم لم يعلموه إلا بعدم العلم بـه، وبـأن تكذيبهم به إنما هو بسبب عدم علمهم به[3].

قال ابن عاشور: "وأصل العبارة في الآية الكريمة قبل النفي: أحاطوا بعلمه؛ أي: أتقنوا عِلْمه أشد إتقان فلما نُفي صار لم يحيطوا بعلمه؛ أي: وكان الحق أن يحيطوا بعلمه لأن توفر أدلة صدقه يحتاج إلى زيادة تأمل وتدقيق نظر بحيث يتعين على الناظر عِلْمُ أدلته ثم إعادةُ التأمـل فيهـا وتسليط علم على علم ونظر على نظر بحيث تحصل الإحاطة بالعلم، وفي هذا مبالغة في فرط احتياجه إلى صدق التأمل ، ومبالغة في تجهيل الذين بادروا إلى التكذيب من دون تأمل في شيء حقيق بالتأمل بعد التأمل" [4].

---

(١)-الجامع لأحكام القران- تفسير القرطبي٨/٣٤٥بتصرف.

(٢) - التفسير الكبير، الرازي ١٧/٨٠.

(٣)-تفسير أبي السعود ٤/١٤٦.

(٤)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور. ١١/١٧١.

٦. تلقي المعرفة من مصادرها الصحيحة[١].

يجب على الإنسان عامة والمسلم خاصة، أن يتلقى المعرفة من مصادرها الصحيحة، فإن لكل معرفة مادية أو شرعية على اختلاف فروعها مصادرها التي تؤخذ منها، وقد أكّد القرآن الكريم سؤال المختصين في أي فرع من فروع المعرفة الشرعية وغيرها، فقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٢].

أي: فسئلوا أهل الكتب الماضية، أبشرا كانت الرسل إليهم، أم ملائكة؛ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد ﷺ رسولا[٣].

فلكل من أراد الاستثبات للوصول للحقيقة فعليه بسؤال مصدرها الأصلي، وفي قوله (إن كنتم لا تعلمون)تنفير من الرضا بالجهل[٤].

وفيها مدح لأهل العلم، وأن أعلى أنواعه: العلم بكتاب الله المنزل؛ فإن الله أمر من لا يعلم ، بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم ، وتزكية لهم ، حيث أمر بسؤالهم ، وأنبذلك يخرج

---

(١)-منهجيةالتفكير العلمي في القرآن الكريم،د.خليل عبد الله الحدري ص ٢٥٣.

(٢)-سورة الأنبياء ٢١الآية ٧.

(٣)-تفسير القران العظيم لابن كثير ٢/٥٧١.

(٤)-انظر: نظم الدرر، البقاعي ٤/٢٧٢.

الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال[1].

٧-الانفتاح على خبرات الآخرين والإفادة منهم(٢).

يؤكد الإسلام على أصحابه أن يلتقطوا الحكمة من كل فم ينطق بها ما دامت حكمة، وليس من المنهجية العلمية في التفكير أن يرفض الباحث المسلم حكمة من فم لا يؤمن بالله، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –قال : "خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت"[3].

وقد أكّد على هذه المنهجية رسول الله ﷺ حين أقرّ أبا هريرة في تعلمه من الشيطان أن آية الكرسي حرز من الشيطان، وأن من قرأها حين يأوي إلى فراشه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فقال النبي ﷺ لأبي هريرة : "أما إنه قد صدقك وهو كذوب"(٤).

وقد تعلم نبي الله سليمان عليه السلام من الهدهد حين قال له،كما حكى الله ﷻ عنه ذلك بقوله ﷻ: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[5]

---

(١)-انظر: تفسير السعدي ٤٤١/١.

(٢)-منهجيةالتفكير العلمي في القرآن الكريم،د. خليل عبد الله الحدريص ٢٥٦.

(٣)-أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، ١٦٨/٢ .ولم أقف على حكم لهذا الحديث

(٤)-صحيح البخاري كتاب الوكالة باب إذاوكل رجلا فترك الوكيل شيئافأجازه الموكل رقم ٢٣١١

(٥) – سورة النمل ٢٧الآية ٢٢.

فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد، فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان(١).

وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه له على أن في أدنى خلق الله ﷻ من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة(٢).

ولذلك فقد أخبر الهدهد سليمان عليه السلام بقوله: لقد اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، وجئتك من سبأ بنبأ يقين؛ أي: بخبر صدق حق يقين(٣).

---

(١)- جامع البيان في تأويل آي القرآن :تفسير الطبري ١٤٧/١٩.

(٢) -انظر: الكشافللزمخشري٣/ ٣٦٤.

(٣)- انظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل :تفسير البيضاوي ٢٦٣/٤.

المبحث الثاني

ضوابط الطبيعة الإنسانية في الجانب الأخلاقي.

وتحته مطالب:

لابد من القول: إن المسألة الحاسمة في مجال الأخلاق-هي "إطارها المرجعي" بمعنى المصدر الذي تستمد منه الحكم على حسن الخلق أو قبحه والجهة التي ستتولى الإثابة أو العقوبة على ذلك الخلق، والإطار المرجعي لخلق المسلم هو وحي السماء (الكتاب والسنة) ومحكمته العادلة تكون أمام الحكم العدل ﷻ.

وفي العالم الغربي تحول الإطار المرجعي للأخلاق من "الوحي" إلى "العقل" ولم يبق أي مجال للفرار من "النسبية الأخلاقية"، حيث أصبح الطريق ممهداً لتطور الأخلاق الفاضلة، وإمكان تحولها إلى "رذائل في ثوب فضائل" (١).

وقد وضع الله ﷻ ضوابط تلتزم بها النفس حتى تنجو بتزكية نفسها من الفجور، ومنه ضوابط خارجية وضوابط ذاتية داخلية، وأبدأ ببيان الضوابط الخارجية كما يأتي:

---

(١)-انظر:مدخل إلى التنمية المتكاملة ، د. عبدالكريم بكار ، ص ٢٣٧ .

المطلب الأول: ضوابط موضوعية خارجية:

وهي عبارة عن تلك المبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام، والتي تحدد بصفة عامة إرادة الله ﷻ فيما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان في هذه الحياة سواء أكان هذا السلوك متعلقاً بصلته مع الغير أو بالنفس، وهذه المبادئ متمثلة في القرآن الكريم،والسنة بصورة قانونية أو تشريعية، وعلى هذا الأساس يُعدّ كلاهما معياراً وضعياً واحداً.

غير أن تحديد الإسلام لسلوك الإنسان لم يكن على مستوى واحد في مختلف الميادين، فهناك مجال قد حدد فيه السلوك بدقة من حركات وسكنات وذلك فيما يتصل بتحديد علاقة الإنسان بربه، ولهذا جاءت صورة العبادات مرسومة بطريق لم يبق فيها مجال للاجتهاد؛ لأنه مجال طاعة الله وعبادته ، فهو ﷻقد حدّد لنفسه صورة عبادته وطريقة تقديسه (١).

وهناك مجال آخر أقل تحديداً من المجال السابق، وهو مجال التعامل الاجتماعي، فليس هناك تحديد زمني وحركي للسلوك كالأول، وكما أنه ليس هناك سلوك غير خاضع لمنطق العقل، بل تجد قواعد عامة كمعايير عامة في التعامل الاجتماعي، وهي الضوابط الخارجية لضبط سلوك الطبيعة الإنسانية منها:

---

(١)-علم الأخلاق الإسلامية، د. مقداد يالجن، ص ٢٩٧ .

١ -الالتزام بأسباب التقوى.

إن هناك حقيقة مهمة تتعلق بقضية الأخلاق، وهي: أن لكل أمة سلماً قيمياً ترتب فيه أخلاقها في ضوء أمرين: مبادئها وحاجاتها، فظروف الصحراء أو البداوة حملت العرب على وضع الشجاعة والكرم في أعلى السلم القيمي، وحين جاء الإسلام لم يخرج هاتين الخصلتين من سلم الفضائل لكنه غيّر من موقعهما في التشكيل الجديد؛ حيث صارت التقوى معياراً أهم في الدلالة على الفضل والسبق، فالتقوى في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها لتتناول بعض الفروض الحضارية، مثل: الإسراع إلى العمل، والمحافظة على الوقت، والدقة في تنفيذ الأعمال، والالتزام بالمواعيد، وحسن التصرف في حدود الإمكانات المتاحة... [١].

فهذا كله من لوازم التقوى التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن، قال ﷻ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[٢]. في الآية الكريمة زيادة ترغيب في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللأولين في الثبات على ما هم عليه؛ أي: قل لهم بعد ما بان لهم شأن التوبة: اعملوا ما تشاءون من الأعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب[٣].

---

(١)-علم الأخلاق الإسلامية، د. مقداد يالجن ، ص ٢٤٢ .

(٢) - سورة التوبة ٩ الآية ١٠٥.

(٣)-تفسير أبي السعود ٤/١٠٠.

وفيه أيضا تخويف وتهديد؛ أي: إن عملكم لا يخفى على الله ﷻ، ولا على رسوله فسارعوا إلى أعمال الخير وأخلصوا أعمالكم لله ﷻ[١].

وقد طرأت على المجتمعات البشرية المعاصرة تغيرات ومستجدات كثيرة كان لها تأثيرها المباشر وغير المباشر على سلوك الأفراد والجماعات سلباً أو إيجاباً، وبالتالي حدث اهتزاز في القيم والأخلاق وتغيرت النظرة إلى القيم وبخاصة في الأجيال الجديدة التي تبدي تمرداً على الكثير من عادات المجتمع وتقاليده وقيمه، وهذه ظاهرة عامة لا تقتصر على مجتمع دون آخر وعادة ما ينظر الجيل الجديد إلى أفكار الجيل القديم وتصوراته على أنها تصورات متخلفة لم تعد تلائم العصر .

إذن في داخل كل منا ملكة للإقرار والاستهجان والشعور بالمبادئ والتمييز شبه الفطري بين الخير والشر، وإن مسئولية المجتمع تكمن في ترقية هذه الملكة وتدريبها ومدها بالخبرة والثقافة التي تساعدها على الصدور عن رؤية راشدة، وقد دلتنا التجربة أن عدم إفساح المجتمع للفرد باتخاذ قراراته قد يدفعه إلى نوع من التماهي الشكلي فيظهر الفرد أمام الناس في مظهر المواطن المثالي، لكنه في خلواته يفعل كل المحرمات وكل ما يضاد قيم المجتمع الذي يعيش فيه.

وبالطبع فإنه لا ينبغي أن نفهم من هذه الدعوة إلى تساهل اجتماعي تجاه المنكرات والمحرمات، فهذا من عوامل التخريب الكبرى، وإنما المقصود أمران:

---

(١)- انظر: فتح القدير، الشوكاني٢/ ٤٠٠.

الأول: عدم ملاحقة المجتمع لأفراده في أمور يتحملها التنوع الثقافي كما في أشكال بعض الملابس وبعض العادات كالمشي والأكل والشرب والضيافة، ونحو ذلك، وما شاكل كل ذلك مما تواضع عليه الناس دون أن يكون فيه حكم شرعي محدد. وقد رأينا مجتمعات عديدة أفضى بها التشدد حيال بعض العادات إلى أن تفرط بأوامر ونواه شرعية كثيرة في سبيل المحافظة على تقاليد وأوضاع رسمتها لنفسها.

الثاني : تدعيم التربية المنزلية والفردية التي تجعل المرء ينزع إلى الخير ويبتعد عن الشر في خلواته . فإن المجتمع الذي يضغط على أفراده من غير عناية بالتربية مجتمع يشوبه النفاق العملي.

إن لغة التنبيه والتوجيه التربوي ينبغي أن تعلّم الطفل المعايير الأخلاقية الذاتية المستقلة وليست النسبية، فإذا ما وقع خطأ منه وجب أن نقول له: هذا حرام، هذا ضار، ليتأسس في عقله ونفسه خطأ الأشياء في ذاتها ووجوب الامتناع عنها في السر والعلن على العكس ما إذا قلنا له هذا عيب ومنتقد من الناس فهذا يوحي للطفل وبعدما يكبر أنه إذا استطاع أن ينجو من لوم الناس فليفعل، أي ليكن موقفك في السر غير العلن [1].

٢-الأسوة الحسنة:

لا ينبغي أن نضيق ذرعاً بما يبدو من مظاهر التمرد لدى الأجيال الجديدة في نظريتهم للقيم، فهي في حاجة إلى أن ترى القيم التي يتحدث

---

[1]- مدخل إلى التنمية المتكاملة، د/ عبد الكريم بكار، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

عنها الجيل القديم تتجاوز مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل، فالجيل الجديد في حاجة إلى قدوة ونموذج يسترشد به [١].

ولقد كان القرآن دقيقا في بيان الأسوة الحسنة في حياة المؤمن حتى يحقق التوازن بين طبيعة النفس البشرية وبين ضبط النفس وفق ضوابط القرآن الكريم،قال ﷻ :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢]

فهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر ﷻالناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه ﷻ[٣].

أي:اقتدوا وتأسوا به اقتداء حسن وهو: أن تنصروا دين الله وتؤازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب من الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته[٤].

---

(١)-الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ص ١٤٤ وما بعدها.

(٢) - سورة الأحزاب ٣٣الآية ٢١.

(٣)-تفسير القران العظيم لابن كثير ٤٧٥/٣بتصرف.

(٤)-تفسير البغوي ٥١٩/٣بتصرف.

والرسالات السماوية لم تأت لتغير فطرة الإنسان، وإنما أتت مؤيدة ومكملة لها، ومن هنا يقول ﷺ "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(١)، والإسلام حريص دائماً على أن تكون أوامره ونواهيه مطابقة للعقل وللحكمة وغير مناقضة للفطرة، والنبي ﷺ في توجيهاته يحيل الإنسان إلى ضميره إذا اختلطت عليه الأمور حيث قال ﷺ للسائل المتحير : "استفت قلبك"(٢)، وهذا يعني أن هناك ارتباطاً تاماً بين الشعور بالمسئولية والضمير (٣).

وقد بين القرآن الكريم التحسر الشديد الذي سيكون فيه كل من يبتعد عن منهج الأسوة الحسنة عندما يتخذ فلانا خليلا له في الدنيا، قال الله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾(٤)

---

(١)-البخاري في الأدب المفرد ١٤٨/١، ومسند أحمد في مسند أبي هريرة ٤٤٨/١، بلفظ لأتمم صالح .

(٢)-مسند أحمد ١١٥/٤، حديث رقم ١٧٢٣، وقال الشيخ: أحمد شاكر، إسناده صحيح.

(٣)-الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، ص ١٤٤ وما بعدها .

(٤) - سورة الفرقان ٢٥ الآيات٢٧- ٢٩.

ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه يقول يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله(١).

فيقول هذا الذي اتخذ سبيل خليله متحسرا يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا؛ أي: طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات، وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طريق الضلالة أو حصلت في صحبته ﷺ طريقا ولم أكن ضالا(٢).

٣- أن يعامل الإنسان الناس بما يحب أن يعاملوه به.

وهذا من مقتضى الإيمان بالله ﷻ ، ومن هنا كان قول النبيﷺ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ" (٣).

قال النووي: "هذا من جوامع كلمه ﷺ ،وبديع حكمه وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه"(٤).

---

(١)-جامع البيان في تأويل آي القرآن ١٩/٧.

(٢)-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٦/٢١٤.

(٣)-جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ٣/١٤٧٣ حديث رقم ١٨٤٤.

(٤)-شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/٢٣٣.

وقوله ﷺ"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1]، أي:" لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ أي: من الخيروالخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، والمحبة الميل إلى ما يوافق المحب وقد تكون بحواسه كحسن الصورة أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر"[2].

٤- الإخلاص.

ويجب الإخلاص لوجه الله ﷻ عند العمل ومعاملة الغير؛ لأن الله ﷻ يجازي على عمله بمقدار إخلاصه، قال ﷻ :﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[3]

فهم إذا أطعموهم يعنون طلب رضا الله ﷻ،والقربة إليه،ولا يريدون منهم على إطعامهم ثوابا ولا شكورا، وقالوا ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال إزاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر[4].

---

(١)- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣.

(٢)-فتح الباري، ابن حجر ٥٧/١بتصرف.

(٣) - سورة الإنسان ٧٦ الآيتان ٨،٩.

(٤)-انظر:جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ٢١٠/٢٩، وتفسير أبي السعود ٩/ ٧٢.

فهم يقولون بألسنتهم للمسكين واليتيم والأسير ذلك لا يريدونمكافأة ولا شكورا ولا أن يثنوا عليهم بذلك، قال ابن عباس: كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا وعن سالم عن مجاهد قال: أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله ﷻمنهم فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب(١).

إنهم يقولون ذلك تأنيساً لهم ودفعاً لانكسار النفس الحاصل عند الإطعام، أي ما نطعمكم إلاّ استجابة لما أمر الله، فالمطعم لهم هو الله، فالقول قول باللسان، وهم ما يقولونه إلاّ وهو مضمر في نفوسهم(٢).

٥- الصدق في القول والعمل:

وهو مطابقة التعبير للحقيقة أياً كان لون التعبير بالقول أو بالفعل؛ لأن الصدق وسيلة النجاح في الحياة الفردية والاجتماعية، كما أن الكذب يؤدي إلى الفجور والهلاك. قال ﷺ : "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عندالله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"(٣).

---

(١)-الجامع الكبير لأحكام القرانتفسير القرطبي ١٣٠/١٩

(٢)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٨٥/٢٩.

(٣)-الحديث سبق تخريجه.

٦- المحافظة على العهود والأمانات:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[1] يخبر ﷻ أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله ﷻ على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير إطلاع بينة على ذلك[2].

وفي تصدير الكلام بكلمة التحقيق(إن)، وإظهار الاسم الجليل (الله)، وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه[3].

وقوله ﷻ:(إنّ الله يأمركم) صريحة في الأمر والوجوب، (وإنّ) فيها لمجرد الاهتمام بالخبَر لظهور أنّ مثل هذا الخبر لا يقبل الشكّ حتّى يؤكّد لأنّه إخبار عن إيجاد شيء لا عن وجوده. والخطاب لكلّ من يصلح لتلقّي هذا الخطاب والعمل به من كلّ مؤتمن على شيء ، ومن كلّ من تولّى الحكم بين الناس في الحقوق، والأداء حقيقة في تسليم ذات لمن يستحقّها[4].

---

(١) -سورة النساء ٤ الآية ٥٨.

(٢)-تفسير ابن كثير ٥١٦/١.

(٣)-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: تفسير أبي السعود ١٩٢/٢ بتصرف.

(٤)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور٩١/٥.

وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[الإسراء: ٣٤]،أي: وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام وفيما بينكم أيضا والبيوع والإجارات وغير ذلك من العقود،فتلك العهود كلها فهو ﷻسائل ناقض العهد عن نقضه إياهفلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك[١].

فمقتضى هذه الآية أن كل عقد وعهد جرى بين إنسانين فإنه يجب عليهما الوفاء بمقتضى ذلك العقد والعهد، إلا إذا دل دليل منفصل على أنه لا يجب الوفاء به[٢]؛ فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه (إن العهد كان مسؤولا)؛ أي عنه[٣].

٧ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا من أهم مبادئ الأخلاق الإسلامية، قال ﷻ :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٤]هذا كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير، وقيل كنتم كذلك في علم الله أو في اللوح أو فيما بين الأمم السالفة وقيل معناه: أنتم خير أمة[٥].

---

(١)-جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ١٥/٨٤ بتصرف.

(٢)-التفسير الكبير، الرازي ٢٠/١٦٤.

(٣)-تفسير القران العظيم لابن كثير ٣/٤٠.

(٤)-سورة آل عمران ٣ الآية ١١٠.

(٥)-تفسير أبي السعود ٢/٧٠.

وهذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله[1].

يمدح ﷻ هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله ﷻ للناس، وذلك بتكميلها لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله ﷻ به ، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله ﷻ، وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس[2].

يتضمن بيان كونهم خير أمة مع ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر زال عنهم ذلك[3].

والآية أوجبت أن تقوم طائفة من المسلمين بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ولا شكّ أن الأمر والنَّهي من أقسام القول والكلام ، فالمكلّف به هو بيان المعروف ، والأمر به ، وبيان المنكر ، والنَّهي عنه ، وأمَّا امتثال المأمورين والمنهيين لذلك ، فموكول إليهم أو إلى ولاة الأمور الَّذين يحملونهم على فعل ما أمروا به، والمعروف والمنكر إن كانا

---

(١)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ١/٤٨٩.

(٢)-تفسير السعدي ١/١٤٣.

(٣)-فتح القدير، الشوكاني ١/٣٧١.

ضروريين كان لكلّ مسلم أن يأمر وينهى فيهما ، وإن كانا نظريَّين ، فإنَّما يقوم بالأمر والنَّهي فيهما أهل العلم(١).

٨- التعاون على الخير:

قد أمر الله ﷻ العباد أن يتعاونوا فيما بينهم على البر، وهو الاسم الجامع لكل خير وعلى التقوى،قال الله ﷻ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾(٢)

أي: وليعن بعضكم أيها المؤمنون بعضا على البر وهو العمل بما أمر الله بالعمل به والتقوى هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه(٣).

قال القرطبي: " ندب الله ﷻ إلى التعاون بالبر، وقرنه بالتقوى له لأن في التقوى رضا الله ﷻ، وفي البر رضا الناس ومن جمع بين رضا الله ﷻ ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته ، والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم ويعينهم الغني بماله والشجاع بشجاعته في سبيل الله وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة فالمؤمنون تَتَكَافَأُدماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم"(٤).

---

(١)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤١/٤.

(٢)- سورة المائدة ٥ الآية ٢.

(٣)-جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ٦٦/٦.

(٤)-تفسير القرطبي ٤٧/٦ بتصرف.

وبهذا يتبن لنا أن الله ﷻ يأمر عباده بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم[1].

٩- المساواة والعدالة:

إن الإسلام ينظر إلى الناس نظرة مساواة من حيث أصل الخلقة، فليس هناك جنس يفضل على جنس آخر إلا بالتقوى، قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]

أي: إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة، فإنما تتفاضلون عند الله ﷻ بالتقوى لا بالأحساب[3].

فمن تلبس بالتقوى فهو المستحق لأن يكون أكرم ممن لم يتلبس بها وأشرف وأفضل فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالأنساب فإن ذلك لا يوجب كرما ولا يثبت شرفا ولا يقتضي فضلا[4].

فإن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلا فعليه بالتقوى[5].

---

(١)-انظر: تفسير القران العظيم لابن كثير ٢/٧.

(٢) - سورة الحجرات ٤٩الآية ١٣.

(٣)-انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ٢٦/١٤٠، تفسير القران العظيم لابن كثير ٤/٢١٨.

(٤)-فتح القدير، الشوكاني ٥/٦٧بتصرف.

(٥)-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: تفسير أبي السعود ٨/ ١٢٣ بتصرف.

وعن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ إن أنسابكم هذه ليست بسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع تملؤه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا [١].

وهذه المساواة تقتضي العدالة حتى لو كنت مبغضا لمن تتعامل معهم، قال ﷻ: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٢].

أي: ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة[٣].

١٠- الاعتدال والتوسط في الأمور:

إن المسلم مطالب بالاعتدال في كل شئون حياته، حتى في الأكل والشرب، قال ﷻ: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾[٤]

فقد أحل الله ﷻ في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة فأما ما تدعو الحاجة إليه وهو ما سد الجوعة وسكن الظمأ فمندوب إليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس[٥].

---

(١)-أخرجه أحمد في مسنده ١٥٨/٤حديث رقم ٧١٤٨٢، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط حديث حسن.

(٢) – سورة المائدة٥ الآية٨ .

(٣)-جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ١٤١/٦.

(٤) – سورة الأعراف ٧ الآية ٣١ .

(٥)-تفسير القرطبي ١٩١/٧.

وقد قيل إنّ هذه الآية جمعت أصول حفظ الصّحة من جانب الغـذاء فالنّهي عن السرف نهيُ إرشاد لا نهي تحريم، ويوكل إلى تدبير النّـاس مصالحهم في السرف،فإن ترك السّرف من معنى العدل[1].

(١)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨/٩٥بتصرف.

المطلب الثاني: ضوابط ذاتية داخلية.

أوجد الله ﷻ في الإنسان قوتين للتمييز بين الخير والشر، وهما القوة العاقلة، والقوة القلبية الوجدانية، وهما المعايير الداخلية وقد اعتد بهما الإسلام لوزن الأعمال الأخلاقية إلى جانب المعيار الخارجي الذي هو المبادئ التشريعية والأخلاقية التي جاء بها الإسلام [1]،

وقد تحدثنا عن الجانب الثاني، ونتحدث الآن عن الضوابط الذاتية الداخلية وهي:

١-العقل.

وهو الذي يختص بالتمييز بين الحق الباطل، والخير والشر. وقد أقرّ الرسول ﷺ معيارية العقل عندما أرسل معاذ بن جبل قاضياً على اليمن، فقال له: "كيف تقضي؟ قال أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال فبسنة رسول الله. قال فإن لم تجد ، قال: أجتهد برأي، فقال الرسول ﷺ عندئذٍ الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله" [2].

وقد سُمي العقل بذلك لما يعقل صاحبه أي: يمنعه من الوقوع في المهالك، فأصل العقل الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال وعقل الدواء البطن وعقلت المرأة شعرها وعقل لسانه كفه ومنه قيل للحصن

---

(١) -انظر: علم الأخلاق الإسلامية، د مقداد يالجنص ٣٠٦ .

(٢)-انظر: التاج الجامع للأصول ٦٦/٣ وضعفه الألباني في الضعيفة برقم.٨٨١ومع ضعفه فمتنه صحيح إذالاجتهادمن المصادرالمعتبرةفي التشريع انظر: الإحكام للآمدي ٢٩٨/٤ والمستصفى للغزالي ٣٥٣/٢

معقل وجمعه معاقل، وباعتبار عقل البعير قيل: عقلت المقتول أعطت ديته[١].

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٢]، هؤلاء الكفار الذين مثلهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم عن الحق فهم لا يسمعون بكم يعني خرس عن الحق والصواب والإقرار بما أمرهم الله أن يقروا به وتبيين ما أمرهم اللهﷻ ذكره أن يبينوه من أمر محمد للناس فلا ينطقون به ولا يقولونه ولا يبينونه للناس عمي عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه[٣]،ولما كان طريق اكتساب العقل هو الاستعانة بهذه القوى الثلاثة،وهم قد أعرضوا عنها فقدوا العقل [٤].

فطريق التعقل-هو التدبر في مبادى الأمور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك إنما يحصل باستماع آيات اللهﷻ ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم؛ فإذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم أبواب التعقل وطرق الفهم بالكلية [٥].

---

(١)-انظر:المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ٣٤٢/١.

(٢) - سورةالبقرة ٢الآية ١٧١ .

(٣)-جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ٨٣/٢.

(٤)-التفسير الكبير، الرازي٨/٥.

(٥)-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: تفسير أبي السعود ١٩٠/١.

ولأهمية العقل بالنسبة للإنسان؛ حيث ينهاه عن الوقوع في المهالك فقد سماه الله ﷻ النهى، والحجر، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾[1] يعني: أهل الحجى والعقول، وخصهم بذلك لأنهم أهل التفكر والاعتبار وأهل التدبر والاتعاظ[2].

وقال ﷻ: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[3] أي: قَسَم لأجل ذي عقل يمنعه من المكابرة، فيعلم أن المقسم بهذا القَسَم صادق فيما أقسم عليه[4].

٢- الضمير الأخلاقي:

وهو قوة فطرية تجعل المرء يشعر بالرضى إذا سلك طريق الخير وبالندم إذا سلك طريق الشر، قال ﷺ: "استفت قلبك" الحديث[5]، وهناك فرق بين تمييز العقل وتمييز الوجدان، فالعقل يميز بالتأمل والتفكير ، أما الوجدان فإنه يميز من غير تفكير وروية ومن حيث التأثير فالعقل تأثيره غير مباشر أما الوجدان فيؤثر ويتأثر [6].

---

(١) - سورةطه ٢٠الآية ٥٤ .

(٢)-جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ١٦/١٧٥.

(٣) -سورةالفجر ٨٩ الآية ٥

(٤)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/٣١٧.

(٥)-مسند أحمد ٤/١١٥، حديث رقم ١٧٢٣، وقال الشيخ : أحمد شاكر ، إسناده صحيح .

(٦)-علم الأخلاق الإسلامية، د مقداد يالجنص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

وقد مدح الله ﷻ المؤمنين بحبهم لإخوانهم الذين هاجروا إليهم أنهم لا يجدون حاجة في صدورهم مما أعطى الله إخوانهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾[1] أريد بالوجدان الإدراك العقلي ، وكنى بانتفاء وجدان الحاجة عن انتفاء وجودها لأنها لو كانت موجودة لأدركوها في نفوسهم

ويجوز وجه آخر بأن يحمل لفظ حاجة اسم مصدر الاحتياج، فإن الحاجة بهذا المعنى يصح وقوعها في الصدور لأنها من الوجدانيات والانفعالات، ومعنى نفي وجدان الاحتياج في صدورهم أنهم لفرط حبهم للمهاجرين صاروا لا يخامر نفوسهم أنهم مفتقرون إلى شيء مما يُؤتاه المهاجرون، أي: فهم أغنياء عما يؤتاه المهاجرون فلا تستشرف نفوسهم إلى شيء مما يؤتاه المهاجرون بَلْهَ أن يتطلبوه[2].

كما أن العقل ينظر إلى النفع المستقبلي حتى لو مع التألم في الوقت الحالي، أما الوجدان فينظر إلى الراحة العاجلة ولا ينظر إلى ما ينفع للمستقبل، وقد حثنا الله أن ننظر ما قدمنا للغد قال ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3] هذا أمر من الله ﷻ بتقواه، ودعوة إلى أن

---

(١) -سورة الحشر ٥٩ الآية ٩

(٢)-تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/٩٢، ٩٣بتصرف.

(٣) -سورة الحشر ٥٩ الآية١٨ .

يحاسب كل إنسان نفسه قبل أن يحاسب، وأن تنظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم عرضكم على ربكم، فالله عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير[1].

٣- الرقابة الذاتية.

قد أودع الله في الإنسان الرقابة الذاتية من داخله فجعله رقيبا على نفسه في أهم ما يوصله للجنة، وهذه الرقابة الذاتية تجعل الإنسان العاقل لا يحيد عن الاستقامة أبدا، حيث يراقب نفسه بنفسه، قال الله ﷻ:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[2] وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ولا يرضاه منها فزجرها عن ذلك وخالف هواها إلى ما أمره به ربه، فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة[3].

فالإنسان هو الذي يخاف مقام ربه وهو الذي ينهى نفسه عن الهوى فهو ناه لنفسه، "ونهى الخائف نفسه للانكفاف عن تناول ما تحبه النفس من المعاصي والهوى ، فجعلت نفس الإنسان بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السيئات وهو ينهاه عن هذه الدعوة ، وهذا يشبه ما يسمى بالتجريد، يقولون: قالت له نفسه كذا فعصاها، والمراد بـ(الهوى): ما تهواه

---

(١)- تفسير القران العظيم لابن كثير ٤/٣٤٣بتصرف.

(٢) - سورةالنازعات ٧٩ الآيتان ٤٠ ،٤١ .

(٣)- جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ٣٠/٤٨.

النفس ؛ أي: ما ترغب فيه قوى النفس الشهوية والغضبية مما يخالف الحق والنفعَ الكامل، وشاع الهوى في المرغوب الذميم"[١].

٤ -النية والإرادة:

فدور النية في السلوك الأخلاقي هام جداً، إذ لا يكفي أن يكون السلوك مطابقاً للقانون الأخلاقي من حيث الصورة الخارجية، بل لابد للسلوك الأخلاقي من شكل ومضمون [٢].

ولهذا قالﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى "الحديث[٣].

فالنية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا والشرع خصصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضاء الله وامتثال حكمه[٤].

ويتبين لنا أن تلك الضوابط الذاتية من الأهمية بمكان لضبط النفس من الوقوع في الفجور الذي يحتاج لمجاهدة كبيرة.

والله أعلم

---

(١)- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/٩٢بتصرف.

(٢)-يراجع تفصيل المسألة في المرجع السابق ، ص ٣١١ وما بعدها .

(٣)-صحيح البخاري ، كتاب الوحي، باب بدء الوحي، حديث رقم (١) .

(٤)-فتح الباري، ابن حجر ١/١٣.

المطلب الثالث: مظاهر الانحراف عن التوازن في ضوابط الطبيعة البشرية:

ومن مظاهر الانحراف عن التوازن في ضوابط الطبيعة البشرية، والتي لها انعكاس على الفكر الإسلامي إذا لم يلتزم الإنسان بمنهج القرآن الكريم فيترتب على ذلك أحد أمرين ١ -غلو وتنطع، أو تفريط، وكلا الأمرين مهلك لعلاقة الإنسان بربه، وأبين ذلك فيما يلي:

١-الغلو:

ويراد به في اللغة: مجاوزة الحد، قال ابن منظور ((وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً: جاوز حده[١]، وقال الله ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[٢] هذا نهى عن الغلو وهو التجاوز في الحد، ومنه غلا السعر يغلو غلاء وغلا الرجل في الأمر غلوا[٣]

فالله ﷻ ينهى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا

---

(١)-لسانالعرب، مادة غلا، ١٩٦/٧ .

(٢) -سورة النساء ٤ الآية١٧١ .

(٣)-الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي ٢١/٦.

فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا[١]

وقولهﷺ(في دينكم): إنما معناه في الدين الذي أنتم مطلوبون به، فكأنه اسم جنس وأضافه إليهم بيانا أنهم مأخوذون به وليست الإشارة إلى دينهم المضلل ولا أمروا بالثبوت عليه دون غلو وإنما أمروا بترك الغلو في دين الله على الإطلاق وأن يوحدوا ولا يقولوا على الله إلا الحق وإذا سلكوا ما أمروا به فذلك سائقهم إلى الإسلام[٢].

ونخلص من هذا أن لفظ الغلو هو مجاوزة الحد في الدين وغيره، وهو بهذا المعنى يفيد معنى التطرف الذي هو الغلو في الدين أيضا لكنه لفظ مستحدث لم يصرح به القرآن أو السنة وهو مذموم في الدين قالﷺ"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٣] الحديث. ولذلك نجد القرآن ينهى عن الغلو في الدين، في موضع آخر فيقولﷻ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٤]

---

(١)-تفسير القران العظيم لابن كثير ١/٥٩٠.

(٢)-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية٢/١٣٩بتصرف.

(٣)-صحيح مسلم كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ٢ ١٣٤٣١

(٤) -سورةالمائدة ٥ الآية٧٧ .

يقول الطبري في تفسيرها: "لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه هو الله، أو هو ابنه ولكن قولوا عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"[1].

ومن السنة يقول ﷺ: "يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) [2]، وقال ﷺ: "اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه"[3].

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط[4].

فمن تبجيل اللهوتعظيمه إكرامصاحب الشيبةالمسلم؛ أي تعظيم الشيخ الكبير صاحب الشيبة البيضاء الذي عمره في الإيمان وتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه، وحامل القرآن، أي قارئه غير الغالي فيه؛ أي: غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه، والجافي عنه؛ أي: التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه[5].

---

(١)-جامع البيان، (١٨٩/٣) .

(٢)- سنن ابن ماجه كتاب المناسك، باب قدر حصي الرمي رقم(٣٠٢٩) وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٢٨٣

(٣)-أخرجه أحمد في المسند ٤٢٨/٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١١٦٨.

(٤) -سنن أبي داود ٢٦١/٤ الحديث رقم ٤٨٤٣وقال الشيخ الألباني حديث حسن.

(٥) -فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي ٥٢٩/٢.

(٢) **التنطع**:

وهذه الكلمة كما يقول ابن منظور تعني: (التعمق في الدين والمغالاة فيه)[١]،

ويقول ﷺ:إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون[٢]، قال فقالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون، قال: المتكبرون[٣].

وأما الثرثارون المتشدقون؛ أي: المسهبون في القول المكثرون له[٤]. الذين يتنطعون في الكلام، والغلو في الدين والتنطع ينشأ عنهما جهل بأمور الدين يترتب عليه تشدد بلا فهم وهذا ما نراه في الواقع.

وأما الجانب الآخر الذي يترتب على عدم ضبط ضوابط الطبيعة البشرية هو:

(٣) **التفريط**: والتفريط يقابل الإفراط والغلو: ومعناه الجفاء والتضييع، ومنه قوله ﷺ:أما إنه ليس في النوم تفريط[٥]. أي: تقصير، إذن التفريط معناه: التقصير والتضييع والترك.

---

(١)- انظر: لسان العرب مادة (نطع) ٣٠٥/١١.

(٢) -صحيح مسلم كتاب العلم باب هلك المتنطعون رقم ٢٦٧٠

(٣) -فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي ٥٢٩/٢.

(٤) -انظر:غريب الحديث للخطابي ١٢٦/١.

(٥) -رواه مسلم كتاب المساجد حديث رقم (٦٨١).

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في مواضع متعددة بتصاريفه المختلفة وهي تدور حول معنى التقصير ومن ذلك قوله ﷻ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[1]، أي: وهم لا يقصرون[2].

فالله يرسل عليكم حفظة وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلا ونهارا يحفظون أعمالكم ويحصونها ولا يفرطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يضيعون[3].

ومنه قولهﷻ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾[4]

أي: ياحسرتى على تفريطي وتقصيري في جنب الله؛ أي: جانبه وفي حقه وطاعته[5].

فيتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة يوم القيامة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ﷻ[6].

---

(١) -سورة الأنعام ٦ الآية٦١ .

(٢) -تفسير البغوي ١٠٣/٢.

(٣) -جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ٧/ ٢١٦.

(٤) -سورةالزمر ٣٩ الآية ٥٦.

(٥) -انظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: تفسير أبي السعود ٢٦٠/٧.

(٦) -تفسير القران العظيم لابن كثير ٦١/٤.

ومن صور التفريط والانحراف عن ضوابط القرآن لحفظ النفس من الفجور اتباع الهوى وقد نهى الله عن اتباع الهوى خشية أن لا يعدل إنسان في حكمه أو رأيه أو قوله، قال ﷻ:﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ﴾[1]، هذا نهى عن اتباع الهوى؛ فإن إتباع الهوى مهلك، فاتباع الهوى يحمل على الشهادة بغير الحق وعلى الجور في الحكم إلى غير ذلك[2].

وقد يترتب على اتباع الهوى إرضاء لأهواء ذوي السلطان أو الجاه أو المال أو موالاة للأقربين وقد حذر الله ﷻ من التفريط في أحكامه سواء بالتحليل أو التحريم، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾[3]

أي : ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم، فتقول هذا حلال وهذا حرام، أي: لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم، لا لأجل حجة وبينة[4].

---

(١) -سورةالنساء ٤ الآية٤١٣ .

(٢) -الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي ٥/٤١٣.

(٣) -سورة النحل١٦ الآية ١١٦.

(٤) -الكشاف، الزمخشري ٢/٥٩٨بتصرف.

فلا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله ﷻ عباده من المطاعم هذا حلال وهذا حرام كي تفتروا على الله بقيلكم ذلك الكذب، فإن الله ﷻ لم يحرم من ذلك ما تحرمون ولا أحل كثيرا مما تحلون.

ثم تقدم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه؛ فقال: إن الذين يتخرصون على الله الكذب ويختلقونه لا يخلدون في الدنيا ولا يبقون فيها إنما يتمتعون فيها قليلا[1].

ومما لاشك أن غياب الوسطية والاعتدال ينتج عنه نوع من الانحراف الفكري؛ حيث يصعب الفصل بين التطرف والتعصب السياسي والديني والفكري من ناحية وبين العنف والإرهاب من ناحية أخرى، فالوسطية التي دعا إليها الإسلام هي نفسها الصراط المستقيم الذي تعبدنا الله – عز وجل به – والحيد عنه – لاشك – يولد العنف والتطرف والتعصب أحيانا، وهذا بدوره يؤدي إلى الانحراف، أو التكفير للغير، وبدهي أن معالجة الظاهرة الفرعية مهما كانت الوسائل المستعملة؛ لا تستقيم ولا تكون أنجع دون معالجة الظاهرة الأصيلة، ولذلك على الإنسان مراعاة الضوابط التي بها ينجو من مهاوي الانحراف الفكري والعقلي حتى يكون من الناجين الفائزين. والله أعلم

(١) -جامع البيان في تأويل آي القرآن: تفسير الطبري ١٤/١٨٩.

الخاتمة

بعد وضع اللمسات الأخيرة لهذا البحث بتوفيق الله تعالى، يجدر بي أن أجمل النتائج التي انتهيت إليها فيما يلي:

١. يتحقق التوازن العادل بين الإنسان والحياة بالتزامه، وبين مطالب الإنسان المادية والروحية والعقلية خصوصاً، وفق الضوابط التي حددها الله في القرآن الكريم.

٢. في القرآن الكريم منهج متكامل لتزكية النفس من الفجور وضبطها بالضوابط الشرعية.

٣. إن فقه الطبيعة الإنسانيةبمفهومه الشامل في الإسلام هو أحد الوسائل الفعالة لتربية الروح والاتصال بالله ﷻ وفق ضوابط شرعية تمنع من الانحراف والشذوذ .

٤. الإطار المرجعي للأخلاق في الإسلام، هو القرآن الكريم وقد حدد لها ضوابط موضوعية خارجية وأخرى ذاتية داخلية على الإنسان الالتزام بها.

مقترحات البحث

١. ضرورة تحرير المصطلحات والمعاني بشكل دقيق حتى لا يقع الناس في كثير من الخلط والنزاع.

٢. على المؤسسات الإسلامية أن توثّق صلتها بالمجامع الفقهية الموثوقة الموجودة في البلاد الإسلامية والتي يسهم في بحوثها علماء متخصصون مهتمون بدراسة القضايا المستحدثة بإصدار الفتاوى العلمية بشأنها.

٣. ضرورة قيام طلاب الدراسات العليا في جامعات العالم الإسلامي بعمل دراسة مستفيضة شاملة عن ضوابط الطبيعة البشرية؛ حيث لا يوجد ثمة بحث واحد مستفيض في هذا المجال، وإنما هي أبحاث متناثرة.

٤. على المؤسسات المعنية في الدولة أن تعمق النظر في فقه علاقتنا بالآخرين حواراً وتعاملاً، بحسب الرابطين البشري والديني وبحسب الحالين الاعتيادي، والاستثنائي تأثراً وتأثيراً . والله الموفق

المراجع

١. أبحاث في القمة د / محمد سعيد البوطي، ط مركز الراية للتنمية الفكرية – جدة – المملكة العربية السعودية. ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٤ م .

٢. أبحاث في النظرية السياسية د/ حامد ربيع ، محاضرات غير منشورة كلية الاقتصاد ، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م .

٣. الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام ، د/ مصطفى منجود ، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

٤. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، د/ مقداد يالجن، ط: مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٧٣م .

٥. الأحكام السلطانية ، للماوردي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط٢، ١٩٦٦م .

٦. الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت . ط: الثانية، ١٤٠٣ه

٧. إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي "٥٠٥هـ" ، ط: دار الفكر . بيروت، (د. ت).

٨. آداب الشافعي ومناقبه للإمام الرازي ، ، ط: مكتبة وهبة ، القاهرة، ١٤١٥هـ .

٩. أزمة العقل المسلم د/ عبد الحميد أبو سليمان، ط: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، السعودية، ١٤١٢هـ.

١٠. أسباب النـــزول للواحدي ، تحقيق: أيمن صالح شعبان ، ط: مكتبة الأندلس ، القاهرة ١٩٩٣م .

١١. أسس العلم وضوابطه في السنة. للدكتور / فاروق حمادة .ط المكتب الإسلامي للتوزيع الرياض ١٤٢٤هـ

١٢. أصول البحث العلمي ومناهجه ، د/ أحمد بـــدر ، وكالـــة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٢م .

١٣. الإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ١٤١٥ هـ .

١٤. أنظمة نحو تربية إسلامية ، للدكتور حسن الشـــرقاوي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

١٥. الإيمـــان والحيـــاة، د/ يوســـف القرضـــاوي، ط : دار الصحوة، القاهرة، ط: ٣، ١٤١٤هـ .

١٦. التحرير والتنوير للطاهر بـــن عاشـــور ط: دار الســـداد التونسية، ١٩٩٢م ـ ١٤١١هـ .

١٧. التربية الروحية للدكتور علي عبد الحليم محمـــود ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٨. التربية على الغلو ذلك السلوك السلبي لمحمد مصـــطفى الديب، ط: دار الرضا للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠٠٦م

١٩. التربية وحقوق الإنسان في الإسلام ، د/ محمـــد فتحـــي موسى، ط: دار الوفاء، الإسكندرية، مصر ، ط١، ٢٠٠٦م

٢٠. التصور الإسلامي للكون والحياة د / عثمان ضميرية دار الأرقم، الكويت (د.ت) .

٢١. تفسير القرآن العظيم لابن كثير. ط : المكتبة العصرية، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٢. التكفير في ضوء السنة النبوية د/باسم بن فيصل الجوابرة بحث فائز بجائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة الدورة الرابعة ١٤٢٨ هـ

٢٣. التمهيد للأسنوي، تحقيق: محمد هيتو، ط: مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٣: ١٤٠٤هـ .

٢٤. التوازن بين الروح والعقل والجسد ، د/ مروان القادري، دار البحوث العلمية، الكويت ١٤٠٢هـ.

٢٥. الثقافة الإسلامية "المستوى الثالث" ، د/ مصطفى عبد الواحد وزملاؤه، الكتاب المقرر على طلاب جامعة أم القرى والطائف ، ط: مطابع جامعة أم القرآن مكة المكرمة، سنة ١٤١٨هـ .

٢٦. ثقافة الضرار د/جمال سلطان ط الخانجي-مصر ١٤١٤ هـ-١٩٩٥ م

٢٧. جامع البيان للطبري ، ط : مكتبة الإيمان -مصر سنة١٩٩٢م.

٢٨. الجامع لأحكام القرآن ، ط : دار الكتب العلمية، بيروت . (د . ت)

٢٩. سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد القزويني، اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة ، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٣٠. سنن أبي داود: للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة ، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٣١. سنن الترمذي: للإمام محمد بن عيسى الترمذي، اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٣٢. سنن النسائي، للإمام أحمد بن شعيب النسائي، اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة ، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٣٣. سير أعلام النبلاء للذهبي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت د.ت .

٣٤. الشخصية الإسلامية د/ عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" ، ط: دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م .

٣٥. الصحابة والوسطية في تربية الناشئة، لعصام عبد العزيز الشايع، ط: مدار الوطن للنشر الأولى، سنة ١٤٢٥هـ .

٣٦. الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، د/ يوسف القرضاوي ، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٣٧. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة ، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٣٨. ضوابط الوسطية بين الفطرة، والأمانة، والفتنة. د/ محمد سالم عبد الحي،ط: معهد مكة المكرمة بجدة، كتاب الأمة، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

٣٩. فصول في التفكير الموضوعي للدكتور/ عبد الكريم بكار ، ط٤، دار القلم ، سوريا ٢٠٠٥م .

٤٠. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، د/ علي أبو العينين ، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٠م .

٤١. فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها .د / محمد منير مرسى ط: عالم الكتب ، القاهرة ١٤٠٢هـ .

٤٢. في ظلال القرآن لسيد قطب ، ط دار الشروق، القاهرة . (د-ت)

٤٣. في نقد الفلسفة اليونانية العقل العربي، د/ أحمد موسى سالم، بيروت، ١٩٧٠م .

٤٤. قضايا معاصرة، في الدعوة د/ جمال الدين محمد محمود، بحث الوسطية ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف ، القاهرة ، سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٤٥. القواعد الفقهية د / يعقوب الباحسين ، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ .

٤٦. الكتب الستة – صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري ط: مكتبة الرشد، الرياض، اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه / رائد صبري أبي علفة ط:١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

٤٧. كشاف اصطلاحات العلوم للتهانوي ، للشيخ محمد علي التهانوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

٤٨. لسان العرب لابن منظور ، ط . دار العلم للملايين. (د.ت).

٤٩. المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، د/ محمد جميل الخياط ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة أم القرآن مكة المكرمة ١٤١٦هـ .

٥٠. محاسن التأويل ، لجمال الدين القاسمي، ط دار العلم للملايين، بيروت. (د–ت)

٥١. مدخل إلى إسلامية المعرفة د/ عماد الدين خليل ،ط: دار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ١٤١٢هـ .

٥٢. مدخل إلى التربية الإسلامية، د/ عبد الرحمن الغامدي، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ.

٥٣. مدخل إلى التنمية المتكاملة "رؤية إسلامية" د/ عبد الكريم بكار ، ص ٢١٥ ، ط دار المسلم، سنة ١٤١٨هـ .

٥٤. معجم المصطلحات التربوية والنفسية .د/ حسن شحاته ، د/ زينب النجار ، ط دار النفائس، الأردن، عمان، ٢٠٠١م.

٥٥. المعجم الوسيط .د/إبراهيم مدكور وآخرون ، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م .

٥٦. معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، ط دار الفكر.(د-ت)

٥٧. المنهج في استنباط النوازل . د / وائل الهويرينى ، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

٥٨. منهجية التفكير العلمي في القرآن، د/ خليل عبدالله الحدري ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة، ط:١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

٥٩. الموافقات للشاطبي ، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٦٠. نحن والحضارة والشهود د / نعمان السامرائي ، كتاب الأمة جـ١ العدد ٨٠ ذو القعدة ١٤٢١هـ وزارة الأوقاف بقطر

٦١. الوسطية العربية، مذهب وتطبيق . د/ عبد الحميد إبراهيم، ط. دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م .

٦٢. الوسطية في الإسلام، د/ محمد عبد اللطيف الفرفور، ط: دار النفائس، بيروت، ١٤١٠هـ .

٦٣. الوسطية في التربية الإسلامية، د/ عبدالله محمد الزهراني، ط: دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، ط:١.

٦٤. الوسطية في القرآن الكريم، د/ علي محمد الصلابي ، ط مؤسسة إقرأ للنشر، سنة ٢٠٠٧م .

٦٥. الوسطية في ضوء القرآن د. ناصر بن سليمان العمر، ص ٤١، ٤٢، ط دار الوطن، ١٤١٤هـ .

٦٦. ٢٠٠ سؤال وجواب من الإيمان لمحمد نعيم ياسين. مكتبة نزار – مكة المكرمة ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة :وفيها أهمية البحث وأهدافه وخطة الدراسة	٢٩٩
التمهيد : مدخل إلى الطبيعة الإنسانية وفيه مطلبان:	٣٠٣
المطلب الأول: بيان مصطلحات البحث وتحته فرعان : الفرع الأول: تعريف الضوابط لغةً: الفرع الثاني:تعريف الضوابط اصطلاحاً.	٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٤
المطلب الثاني: مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم.	٣٠٥
المبحث الأول : ضوابط الطبيعة الإنسانية في الجانب العقلي. وتحته مطلبان: المطلب الأول : ضوابط سلوكية. المطلب الثاني : ضوابط علمية.	٣١٥ ٣٢١ ٣٣٧
المبحث الثاني :ضوابط الطبيعة الإنسانية في الجانب الأخلاقي. وتحته مطالب: المطلب الأول : ضوابط موضوعية خارجية	٣٥٠ ٣٥١

المطلب الثاني : ضوابط ذاتية داخلية	٣٦٨
المطلب الثالث : مظاهر الانحراف عن منـــهج القـــرآن الكريم. ١-الغلو. ٢- التطرف. ٣- التفريط.	٣٧٤
الخاتمة .	٣٨٢
النتائج والتوصيات .	٣٨٣
المراجع	٣٨٤
فهرس الموضوعات	٣٩٣